أعلام الفقهاء والمحدثين

عبد الرحمن ابن الجوزي

شيخ الزهاد وإمام الوعاظ

إعداد

الشيخ كامل محمد محمد عويضة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠ - ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي نوّع أقسام العلوم، وفاوت مقادير الإدراك والفهوم، وباين بين العقول والحلوم، وأقام المتيقّظ ينبّه النؤوم، أحمده حمداً يستمرّ ويدوم، وأعترف بأنّه الحيّ القيوم، وأصلي على رسوله محمّد أشرف خاتم لخير مختوم، وعلى أصحابه وأتباعه إلى أن يجتمع الخلق للفصل ويقوم، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد

هذا وبالله التوفيق كتاب يحتوي تراجم وسير وأقوال للإمام العالم الزاهد الحافظ رحمه الله تعالى وأنار قبره «ابن الجوزي» الذي يعد من كبار الوعاظ في التاريخ الإسلامي، وكان موسوعياً صنف في كل علم وفن، وأجاد في علم التفسير والوعظ، وإن مصنفاته تربو على الخمسمائة مصنف، وقد توفي يوم الجمعة ١٢ رمضان ٥٩٧ هـ، في مدينة بغداد بداره، ودفن بجوار إمام أهل السنة والجماعة «أحمد بن حنبل» رحمه الله تعالى، وأوصى ابن الجوزي بأن يُكتب على قبره هذه الأبيات:

يا كثير العفو عن
كثير الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو
الصفح عن جرم لديه

أنـــا ضـــيـــف وجـــزاء
الـــضـــيـــف إحـــســـان إلـــيـــه

وأسأل المولى سبحانه وتعـالى، أن يجعل هـذا العمل خـالصاً لـوجهه الكـريم «يـوم لا ينفـعُ مال ولا بنـون إلا من أتَى الله بقلب سليـم»، وأصلي وأسلم على البشيـر محمـد وعلى آلـه وأصحـابـه أجمعين، والحمد لله رب العالمين،

وكتبه
الشيخ ـ كامل محمد محمد عويضة
مصر ـ المنصورة ـ عزبة الشال
ش جامع نصر الإسلام

الإمام الحافظ ابن الجوزي
(٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

١ ــ نسبه:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن جعفر الجـوزي، ينتهي نسبه إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد لقب جعفر بالجوزي نسبة إلى مشرعة الجوز على نهر البصرة أو إلى جوزة كانت في داره.

وهو عربي أصيل قرشي تيمي بكري، وعرف بـالبغدادي مـولداً وإقامة وبالحنبلي مذهباً.

كنيتـه أبو الفَـرَج. ولقبه جمـال الـدين. ويلقب أيضـاً: الإمـام العلاَّمة الحـافظ عالم العـراق، وواعظ الآفاق(١) والحافـظ المفسر، الفقيه الواعظ الأديب شيخ وقته وإمام عصره(٢).

٢ ــ مولده:

ولد ابن الجوزي بمدينة بغداد في درب حبيب ولذا ينسب إلى

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٤٢.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة: ١/ ٣٩٩.

بغداد فقيل البغدادي.

قد اختلف المترجمون اختلافاً كبيراً في تاريخ ولادته وغالبية المصادر تضعه ما بين عامي ٥٠٨ هـ، ٥١٠ هـ تقريباً. وترجح أنه ولد سنة ٥١٠ هـ فقد ذكر عن سبط ابن الجوزي أنه سأل جده عن ذلك فقال: ما أحققه لكن يكون تقريباً في سنة ٥١٠ هـ.

٣ ـ أسرته ونشأته:

تغلب على أسرته التجارة ومنها تجارة النحاس، ولم يعرف عن أحد أجداده أنه قد امتهن العلم. وتوفي والده ولم يكن لابن الجوزي سوى ثلاث سنين، وبقيت والدته على قيد الحياة حيث سبقها هو إلى الموت بأيام سنة ٥٩٧ هـ.

وقد درت التجارة لهم كسباً كبيراً. يقول ابن الجوزي في نصيحته لولده: «واعلم يا بني أننا من أولاد أبي بكر الصديق، ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء»[١]. ويقول: «واعلم يا بني أن أبي كان موسراً، وخلف ألوفاً من المال»[٢]. ويبين لنا ابن الجوزي حاله بعد وفاة والده فيقول: «إن أبي مات وأنا لا أعقل، والأم لم تلتفت إلي»[٣] فقد انصرفت عنه وأهملته وتركته في رعاية عمته، ولما بلغ التمييز مضت به عمته إلى الشيخ أبي الفضل محمد بن ناصر،

---

(١) ابن الجوزي: لفتة الكبد في نصيحة الولد، ص ٤٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٨.
(٣) ابن الجوزي: صيد الخاطر (طبعة الخانجي) ١٩٢.

وكان محدثاً فقيهاً لغوياً. وكان تقياً صالحاً أميناً، حمل أمانة تعليم وتثقيف ابن الجوزي، فأحفظه القرآن والحديث، ودفع به إلى المتخصصين في فنون العلم المختلفة، ساعده على ذلك همة ابن الجوزي وإقباله المنقطع النظير على العلم. ويصف لنا ابن الجوزي هذه الفترة من حياته فيقول: «إن أكثر الإنعام علي لم يكن بكسبي، وإنما هو تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين وأنا قرين الصبيان الكبار، وقد رزقت عقلاً وافراً في الصغر. . . فما أذكر أني لعبت في الطريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت ضحكاً خارجاً، حتى إني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع، فلا أتخير حلقة مشبعة بل أطلب المحدث، فيتحدث بالسير فأحفظ جميع ما أسمعه وأذهب إلى البيت فأكتبه، ولقد وفق لي شيخنا أبو الفضل بن ناصر رحمه الله، وكان يحملني إلى الشيوخ فأسمعني المسند وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فنلت به معرفة الحديث والنقل، ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءاً من القرآن وأقعد حجزة من الناس فأتشاغل بالعلم(١)، وكان يجد حلاوة في طلب العلم ولذة في تحصيله يقول لنا ابن الجوزي: «ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو. كنت في زمان

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم (١٠/ ١٦٢، ١٦٣) آباد الركن ١٣٥٨ هـ والذهبي: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٣).

الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهـر عيسى فلا أقـدر على أكلها إلا عنـد الماء. فكلمـا أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم... وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم، حتى إنني أذكر في زمان الصبوة ووقت الغلمة والعزبة قـدرتي على أشياء كـانت النفس تتوق إليها تـوق العطشان إلى الماء الـزلال ولم يمنعني عنها إلا مـا أثمر عندي من العلم من خوف الله عز وجل: ولـولا خطايـا لا يخلو منها البشر لكنت أخاف على نفسي من العجب»[1].

ولما بلغ ابن الجوزي أنفق تـركته (عشـرين ديناراً ودارين) في طلب العلم[2].

وقد صاحب ابن الجوزي أبا الحسن ابن الزاغوني ولازمه وعلق عنه الفقه والوعظ، فكانت لهذه المصاحبة أثرها الكبير فيه، يقول ابن الجوزي في أستاذه ابن الزاغوني: كان له في كل فن من العلم حظ وافـر، ووعظ مدة طـويلة، وصحبته زمـاناً، فسمعت منـه الحـديث وعلقت عنه من الفقه والوعظ[3]. وكان لابن الزاغوني حلقة بجامـع المنصور يناظـر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة ثم يعظ فيها بعد الصلاة ويجلس يـوم السبت أيضـاً، فلمـا تـوفي سنـــة ٥٢٧ هـ، كـان ابن الجوزي قد احتلم في ذلك العام وطلب حلقة أستاذه في الوعظ، فلم

---

(١) ابن الجوزي: لفتة الكبد ٢٣، ٢٤.

(٢) صيد الخاطر: ١٩١، ١٩٢.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم (١٠/ ٣٢).

يعطها لصغر سنه. وقد حضر ابن الجوزي بين يدي الوزير ابن هبيرة وأورد فصلاً من المواعظ، فأذن له بالجلوس في جامع المنصور[١].

وتعلم ابن الجوزي الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري المتوفى عام ٥٣٢ هـ، والقاضي أبي يعلى الصغير المتوفى سنة ٥٢٧ هـ، وتتبع ابن الجوزي قمة مشايخ الحديث في عصره وأثبت في مشيخته: (لما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العدد لا تكثير العدد. ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً)[٢]. وضمن في مشيخته سبعة وثمانين شيخاً منهم ثلاث نسوة، وقد حصل على سماعتهم (الاذن منهم بأن يروي عنهم مروياتهم) كما حصل من غيرهم على سماعات لم يذكرها في مشيخته[٣]. بيد أن الأثر العميق في تكوين شخصية ابن الجوزي كان للعلماء العاملين من شيوخه يدل على ذلك قوله: «لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه»، وأشار إلى عبد الوهاب الأنماطي المحدث المتوفى ٥٣٨ هـ، وقال عنه كذلك: «كان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث. وكنت

---

(١) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ٣/ ٤٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٠١.

(٣) ناجية إبراهيم عبد الله: مقدمة تحقيق المصباح المضيء (١/ ٢٤، ٢٥)، مطبعة الأوقاف بغداد، ١٩٧٦ م.

إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه»[1]. كما تأثر بأبي منصور الجواليقي المتوفي سنة ٥٤٠ هـ، في أخلاقه وهو معلمه في اللغة والأدب حيث قال عنه: «كان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقناً محققاً إليه انتهى علم اللغة، كما كان من أهل السنة، وقد سمعت منه الحديث وغريب الحديث وقرأت عليه كتابه المعرَّب وغيره من تصانيفه»[2]. ولم يقتصر ابن الجوزي على فن واحد من فنون العلم فيقول: «لم أقنع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت العربية، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم، إلا وأحضره وأتخير الفضائل»[3].

ويبين ابن الجوزي غايته في محاولة استقصاء العلوم والفنون أنها متكاملة، وتدفع بالنفس إلى كمالها الممكن لها في العلم والعمل، فإذا حصلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحركاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه، وهي الغاية الكبرى في الحياة.

٤ ــ صفاته:

يروي ابن العماد أن ابن الجَوزي كان «لطيف الصوت، حُلو الشمائل، رحيم النَقْمة، موزون الحركات، لذيذ المفاكهة.. وكان يُراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر: ص ١١٤، والمنتظم ١٠/ ١٠٨.
(٢) ابن الجوزي: صيد الخاطر: ص ١١٤، والمنتظم١٠/ ١١٨.
(٣) ابن الجوزي: لفتة الكبد: ص ٢٤، وصيد الخاطر ٢٢.

حـدة. . يعتاض عن الفـاكهة بـالمفـاكهـة، لبـاسـه الأبيض النـاعم المطيَّب. ونشأ يتيماً على العفاف والصلاح»[1].

وقال سبطُه أبو المظفَّر: كان زاهداً في الدنيا، متقلِّلاً منها، وما مازح أحداً قطّ، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقَّنُ حلَّها. وما زال على ذلك الأسلوب إلى أن توفاه الله.[2]

٥ ـ شيوخه:

جاء في كتاب «الـذيل على طبقـات الحنابلة» أن ابن الجـوزي قال: «ولمَّا رأيت من أصحابي من يُؤثر الاطِّلاع على كبار مشايخي، ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً» ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً.

وإذا كان هؤلاء السبعة والثمانون هم كبار مشايخه فحسب ترى كم عـدد بقية مشـايخه؟ لقـد أورد ابن رجب نحو ثـلاثين من هؤلاء الشيوخ.

أما أنا فسأنتخب من بين هؤلاء أربعة أترجم لهم. وهم:

أبو الفضل محمد بن ناصر: خاله وأول معلم له.

وأبو منصور الجواليقي: الذي علّمه الأدب واللغة.

وابن الطبر الحريري: الذي أسمعه الحديث.

---

(١) شذرات الذهب: ٤/ ٣٢٩ وما بعدها.

(٢) مرآة الزمان: ٨/ ٤٨٣ وما بعدها.

وأبو منصور محمد بن خَيرون: الذي علمه القراءات.

وهذه ترجمة موجزة لكل منهم:

١ ــ **ابن ناصر**[١]: هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر، أبو الفضل البغدادي المحدث، اللغوي الفقيه. ولد عام ٤٦٧ هـ، وتلمذ لأبي زكريا التبريزي، وهو خال ابن الجوزي، وفي مسجده وعلى يديه تعلم. قال عنه ابن الجوزي: «وكان حافظاً، ضابطاً. متقناً، ثقة لا مَغمز فيه، وهو الذي تولى تسميعي الحديث، فسمعت مسند الإمام أحمد بقراءته» وتوفي ابن ناصر عام ٥٥٠ هـ.

٢ ــ أبو منصور الجواليقي: موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقي، أبو منصور. اللغوي المحدث الأديب. ولد عام ٤٦٥ هـ. وقرأ على أبي زكريا التبريزي سبع عشرة سنة حتى انتهى إليه علمُ اللغة فأقرأها. ودرس العربية بعد أبي زكريا مدة. ولما ولي المقتفي اختص الجواليقي بإمامة الخليفة، وكان المقتفي يقرأ عليه بعض الكتب.

قال ابن الجوزي: «وسمعت منه كثيراً من الحديث، وغريب الحديث، وقرأت عليه كتابة (المعرب) وغيره من تصانيفه وقطعة من اللغة» وتوفي عام ٥٣٩ هـ أو في المحرم سنة ٥٤٠ هـ.[٢]

---

(١) ترجمته في المنتظم: ١٠/ ١٦٢، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ١٢٨٩.
(٢) المنتظم: ١٠/ ١١٨.

٣ ـ **ابن الطبر الحريري**[^1]: هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري أبو القاسم، ويعرف بابن الطبَّر. ولد عام ٤٣٥ هـ. وسمع الحديث وقرأ القرآن على كبار المشايخ. وحدث وأقرأ. وكان صحيح السماع قوي التدين.

قال ابن الجوزي: «وسمعت عليه الحديث، وقرأت عليه» وتوفي عام ٥٣١ هـ.

٤ ـ **ابن خَيرون**: محمد بن عبد الملك بن الحسين بن إبراهيم بن خَيرون، أبو منصور المقرىء، ولد عام ٤٥٤ هـ. وقرأ القرآن بالقراءات، وصنف فيها كتباً، وأقرأ وحدث، وكان ثقة، وكان سماعه صحيحاً. قال ابن الجوزي: (سمعت عليه الكثير وقرأت عليه)[^2] توفي عام ٥٣٩ هـ.

٦ ـ تلاميذه:

ذكر الأستاذ / حسن عيسى علي الحكيم في كتابه «ابن الجوزي» ما يقرب من ٧٨ تلميذاً أهمهم:

١ ـ أبو عبد الله محمد بن يحي الواسطي (المعروف بابن الدبيثي).

---

(١) المنتظم: ١٠/ ٧٢١ وهو غير الحريري صاحب المقامات، وصاحب درة الغواص (وهو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري المتوفي ٥١٦ هـ).

(٢) المنتظم ١٠/ ١٥١.

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي (المعروف بابن النجار).

٣ ـ أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي البغدادي الدمشقي (المعروف بسبط ابن الجوزي).

٧ ـ شعره:

قيل إن ابن الجوزي كان شاعراً، وله أشعار حسنة كثيرة، وذكروا من بين كتبه ديواناً عنوانه: «ما قلته من الأشعار[١] وقيل: إن شعره في عشرة مجلدات»[٢].

لكن ما ورد من هذا الشعر في الكتب التي ترجمت له لا يجاوز الثلاثين بيتاً، ولا خبر بعد ذلك عن ديوان ابن الجوزي.

ومما رواه ابن كثير[٣] قوله في الفخر:

مـا زلـتُ أدركُ مـا غـلا بـل مـا عـلا
وأُكـابـد الـنـهـجَ الـعـسـيـر الأطْـولَا
تَـجْـري بـي الآمـالُ فـي حَـلـبـاتِـه
جَـرْيَ الـسـعـيـدِ إلـى مَـدَى مـا أمَّـلا
لـو كـان هـذا العِلمُ شـخـصـاً نـاطِـقـاً
وسـألـتـه: هـل زار مـثـلي؟ قـال: لا

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة: ١/ ٤١٩.

(٢) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٩.

(٣) المرجع السابق.

وقوله في القناعة والزهد(١) (وقيل هو لغيره):

إذا قنعت بميسور من القوت
بَقَيْتَ في الناسِ حراً غير ممقوتِ
يا قوتَ يومي إذا ما در خَلْفُكَ لي
فلست آسَى على دُر وياقوتِ

وأورد ابن تغري بردي(٢) قوله في الوعظ:

رأيتُ خيالَ الظّلِ أعظمَ عبرة
لمن كان في أوجِ الحقيقةِ راقِ
شُخوصٌ وأشكالٌ تَمُرُّ وتنقضي
وتفنى جميعاً والمحركُ باقِ

وقوله:

يا صاحبي إن كنتَ لي أو معي
فَعجْ إلى وادي الحِمى نَرتعِ
وسَلْ عن الوادي وسُكّانه
وانشد فؤادي في رُبا المجمعِ
حَيٍّ كثيبَ الرمل رملِ الْحمى
وقف وسَلِّم لي على لَعْلَعِ
واسمع حديثاً قد رَوَتْه الصِّبا
تُسْنِدُه عن بانة الأجرعِ
وابْكِ فما في العينِ من فَضلةٍ
وتُب فدتْكَ النفس عن مدمعي

---

(١) النجوم الزاهرة: ٦/ ١٧٦.

(٢) كان حقها «راقياً» لأنها خبر كان.

ومما رواه ابن رجب[1]:

سلامٌ على الدار التي لا تزورُها
على أن هذا القلب فيها أسيرها
إذا ما ذكرنا طيبَ أيامِنا بِها
تَوقَّدَ في نفس الذُّكور سعيرُها
ترحلنا وفي سِرٍّ الفؤادِ ضمائِرٌ
إذا هَب نجديُّ الصَّبا يستثيرُها

٨ ـ منزلته في مجال الوعظ:

كان الوعظ وعقد مجالسه مما اهتم به ابن الجوزي أعظم الاهتمام حيث كان ذلك سبيله لاتصاله بالجمهور وتوجيهه وتربيته تربية نظرياً وعملياً وقد لاقت مجالسه الوعظية أصداء واسعة في الوسط البغدادي في ذلك الوقت قل نظيرها، وقد حول بعض دروسه الوعظية إلى كتب مستقلة مثل تفسيره «زاد المسير في علم التفسير» الذي أكد مكانته البارزة بين أقرانه حتى وصف ابن كثير مكانته الوعظية بقوله: «وبالجملة كان استاذاً فرداً في الوعظ وغيره وقد كان فيه بهاء وترفع في نفسه وإعجاب وسمو بنفسه أكثر من مقامه»اهـ.

وقال عنه ابن رجب الحنبلي: إن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ولم يسمع بمثلها.

وقال عنه ابن جبير صاحب «الرحلة»: ما كنا نحسب أن متكلماً في

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة.

الدنيا يعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطي هذا الرجل اهـ.

وقد قيل عن مجالسه الوعظية الكثير والكثير حتى قدر عدد حضور مجلسه بمائة ألف شخص وقال هو عنه: «لقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف»اهـ.

٩ ــ نبذة عن عصره:

عاش ابن الجوزي في القرن السادس الهجري، وعاصر ظواهر اجتماعية متعددة في بغداد في هذا الوقت، ومن ضمن الظواهر التي عاصرها ابن الجوزي ظاهرة العزلة واللجوء إلى المساجد والجبال بسبب عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي اتسم به هذا العصر، مما أدى إلى اتساع التيار الصوفي وانتشاره في المجتمع في هذه الفترة، وكأنها حركة احتجاج سلبي على تجاوزات السلطة في ذلك العصر حيث انحصرت نشاطات هؤلاء المتصوفة على شعائر معينة وطقوس مختلفة، فكانت هذه التيارات المنعزلة والمنغلقة بمثابة رد فعل على تيارات الفساد والمجون وعدم الاستقرار في هذا العصر.

نشأ ابن الجوزي في هذا العصر، وتأثر به بداية حياته، فقد سلك طريق العباد والزهاد فترة من حياته العملية، كما أشار هو بنفسه إلى ذلك بقوله: «كنت في بداية الصبوة قد التمست طريق الزهاد بإدامة الصلاة والصوم وحُبِّبت إليّ الخلوة» وهذا يفسر لنا بعض الأشياء التي ذكرها عن المتصوفة وكراماتهم وخوارقهم، والتي ربما

توهم القارىء بأن ابن الجوزي يؤيد الصوفية والمتصوفين ويقرهم على ما هم فيه من بدع وضلالات، وهذا محال من ابن الجوزي صاحب السيف البتار المسلول على أباطيل المتصوفة والمشعوذين، تجد ذلك في كتابه القيم «تلبيس إبليس» الذي خصص فيه جزءاً كبيراً لكشف ألاعيبهم، وبيان تلبيس إبليس عليهم في عبادتهم وانخداعهم بذلك في أسلوب علمي شرعي يدل على تمكن ووعي تام بالأدلة النقلية والعقلية التي تفضح أباطيلهم.

١٠ ـ محنة ابن الجوزي:

ثبت من الاستقراء التاريخي أن أئمة الأمة الإسلامية وأجلاء علمائها كتب الله عليهم الابتلاء بالمصائب والمحن فالله عز وجل يقول: «وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً»(١) ويقول: «ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين»(٢). والرسول ﷺ يقول: «أشدكم ابتلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»(٣).

وتحدثنا المصادر الموثوق بها عن محنة ابن الجوزي فتقول: بأن ابن يونس الحنبلي لما ولي الوزارة، عقد مجلساً للركن عبد السلام ابن عبد الوهاب، وأحرق كتبه لما فيها من الزندقة وعبادة النجوم

---

(١) سورة الأنفال الآية: ١٧.

(٢) سورة محمد الآية: ٣١.

(٣) أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح (سنن الترمذي ٤/ ٦٠٢). كما أخرجه ابن حبان والحاكم. ابن البديع الشيباني: تمييز الطيب من الخبيث ٢١.

ورأي الأوائل، وذلك بمشورة من ابن الجوزي وغيره من العلماء، كما انتزع الوزير مدرسة الركن عبد السلام وسلمها إلى ابن الجوزي، فلما ولي الوزارة ابن القصاب وكان رافضياً خبيثاً سعى في القبض على ابن يونس وتتبع أصحابه، وأجج الركن عبد السلام نار الحقد في قلبه على ابن الجوزي مشيراً إلى أنه ناصبي، وأنه من أولاد سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وأنه من أكبر أصحاب ابن يونس، ثم وشى به إلى الخليفة الناصر وكان له ميل إلى الشيعة.

واستطاع الركن عبد السلام أن يأخذ تفويضاً بالتصرف بالشيخ فجاء إلى داره وقذفه وأهانه، وأخذه قبضاً باليد، وختم على داره، وشتت أولاده، ثم أخذه وعليه غلالة بلا سراويل وعلى رأسه تخفيفة، وأركبه سفينة بقي فيها خمسة أيام لم يتناول طعاماً إلى أن أوصله إلى سجن في واسط، حيث دخله في سنة ٥٩٠ هـ، وبقي فيه إلى سنة ٥٩٥ هـ، أي أن عمره خلال سجنه قد قارب الثمانين عاماً، وظل في سجنه يغسل ثوبه، ويطبخ الشيء بنفسه دون أن تتاح له الفرصة لدخول الحمام خلال هذه السنوات الخمس، وبقي الشيخ على حاله تلك صابراً على ما أنزله الله عز وجل فيه من بلواه محتسباً عنده ثواب عمله، راضياً بقضاء الله وقدره، يسليه ربه عز وجل، فيدخل عليه بعض الناس ممن يستمعون منه العلم أو يملي عليهم مسائله، فيجد بذلك أنس قلبه، وسلوى نفسه. وفي تلك الأثناء برع ولده يوسف في الوعظ حتى وصل إلى مقامات عالية ساعدته معها أم الخليفة التي كانت تتعصب للشيخ ابن الجوزي فشفعت فيه عند ابنها الناصر الذي أمر بإعادة الشيخ، وأتى إليه ولده يوسف، فخرج ونودي له بالجلوس للوعظ، ولم يعش ابن الجوزي بعدها أكثر من عامين حيث

لقي ربه راضياً مطمئناً في يوم الجمعة ١٢ رمضان عام ٥٩٧ هـ، وكانت جنازته مهيبة، وأنزل المدفن والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن الناس لفراقه، وباتوا عند قبره الباقي من شهر رمضان، يختمون الختمات القرآنية بالشموع والجماعات.[(١)]

١١ ـ ثناء العلماء عليه:

قال عنه الذهبي في: «تذكرة الحفاظ»: وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية.

وقال عنه نكلسن: «كان كاتباً غزير الإنتاج في كل فرع من فروع الأدب على وجه التقريب عليه».

وقال عنه ابن خلكان (١/ ٢٧٩):

«كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون كثيرة، منها «زاد المسير في علم التفسير» أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة وله «المنتظم» في التاريخ وهو كبير وله «الموضوعات» في أربعة أجزاء... وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت

---

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: ٨/ ٢٨١، ٢٨٥، ٣٢٨. وابن رجب الذيل: ٣/ ٤٢٦ ـ ٤٢٩.

مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس[1] وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله عقل».

ويقال: جُمِعَت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها».

وعُرف ابن الجوزي بحضور الذهن وسرعة البديهة، وحسن التصرف، والإجابات اللبقة تجاه الأسئلة المحرجة.

نقل ابن خلكان أن نزاعاً في المفاضلة بين أبي بكر وعلي قد وقع بين أهل السنة والشيعة في عهد ابن الجوزي، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ فأقاموا شخصاً يسأل عن ذلك وسط مجلس وعظه فقال:

«أفضلهما من كانت ابنته تحته»

ونزل في الحال حتى لا يراجع في السؤال، فقال السنية: أراد أبا بكر لأن ابنته عائشة تحت النبي ﷺ، وقال الشيعة: أراد علياً لأن إبنة النبي فاطمة كانت تحت علي. وعلق ابن خلكان على ذلك «وهذا من لطائف الأجوبة ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة».

وقال عنه ابن كثير في البداية النهاية:

---

(١) اشتهر هذا الأسلوب في مدح العلماء الذين عُرِفوا بكثرة التآليف كالطبري مثلاً...

«أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد».

«وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو».

«وله من المصنفات في ذلك كله ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها منها كتابه في التفسير المشهور «بزاد المسير» وله تفسير أبسط منه لكنه ليس بمشهور. وله «جامع المسانيد» استوعب غالب مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي».

وقال الحافظ الذهبي:

«ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل».

وقال ابن تيمية: «في «ذيل الروضتين لابن رجب». . .

عددت له أكثر من ألف مصنف ورأيت بعد ذلك ما لم أره».

وكما شارك ابن الجوزي في علوم عصره وبرز بها، فقد كانت له المنزلة التي لا تُدانى في الوعظ، فاشتهر بمجالس وعظه التي كان يحضرها أهل الحكم ويقصدها الناس من كل حدب وصوب ويجتمعون لها بأعداد كبيرة وبزحام قل نظيره.

وقد وصف الرحالة الأندلسي «ابن جبير» مجلساً من مجالس وعظه عام ٥٨٠ هـ بعد أن ذكر له مجلساً حضره أولاً: «ثم شاهدنا

مجلساً ثانياً له بكرة الخميس بباب بدر في ساحة قصر الخليفة[1] ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع من حرم الخليفة قد خُصّ ابن الجوزي بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة نفسه ووالدته ومن حضر الحرم، ثم يفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر، وجلوس ابن الجوزي بهذا الموضع كل يوم خميس».

«فبكرنا لمشاهدته وقعدنا إلى أن وصل هذا الخبير المتكلم فصعد المنبر وأزاح طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطر قرّاء القرآن أمامه على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، فشوفوا ما شاؤوا وأطربوا ما أرادوا وبادرت العيون بإرسال الدموع».

«فلما فرغوا من القراءة، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات، صدع ابن الجوزي بخطبته الزهراء، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها إلى أكملها. وكانت الآية **﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً، إن الله لذو فضل على الناس﴾**[2].

«فتمادى على هذا السين، وحسّن أي تحسين، فكان يومه هذا أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكن بها «الستر الأشرف والجناب الأرأف»[3].

---

(١) الخليفة وقتها كان الناصر ٥٧٥ ـ ٦٢٢.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦١.

(٣) كثر في العصر العباسي الثاني تدخل نساء الخليفة في الحكم وخصوصاً =

«ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لا روية ويصل كلامه في ذلك بالآيات التي قرأها القراء من قبل في المجالس، فأرسلت وابلها العيون، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين وبالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت الناس لا تملك تحصيلاً، ولا تميز معقولاً، ولا تجد للبصر سبيلاً».

«ثم في أثناء مجلسه قال أشعاراً في النسب مبرحة التشويق، بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعهاالغزالي وحداً، فمن ذلك ما أنشده:

أين فؤادي؟ أذابه الوجد
وأين قلبي؟ فما صحا بعد
يا سعد زدني جوى بذكرهم
بالله زدني - فديت - يا سعد

ولم يزل يردد هذه الأبيات والانفعال قد أثر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام فابتدر القيام ونزل عن المنبر عجلاً، وقد أطار القلوب وجلاً، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر، فمن معلن بالانتحاب، ومن متعفر بالتراب، فيا له من مشهد ما أهول مرآه وما أسعد من رآه».

«وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يعطى من امتلاك النفوس

= الأمهات اللواتي كان لهن الأثر الكبير في سير الأحداث في بغداد، فلا بد إذن والحالة هذه أن تُذكر النساء في الخطب، وتُمدح مع الممدوحين.

والتلاعب فيها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكلام من يشاء من عباده». اهـ.

قال ابن عماد في شذرات الذهب[1]:

«كان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قُوّة وذهنه حدّة».

١٢ ـ مصنفاته وآثاره:

اشتهر ابن الجوزي بوفرة مؤلفاته، وفرةً أثارت الخلافَ في تحديدها. فقيل: إنها أربعون ومائة، أو خمسون ومائة. وروي عنه أنه قال: إنها تزيد على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً[2]. وقال الحافظ الذهبي: «ما علمت أن أحداً من العلماء صنّف مثل هذا الرجل». وعدّ له سبعة وخمسين مؤلفاً ختم بيانها بقوله «وأشياء كثيرة يطول شرحها»[3]. كما أورد الذهبي في «تاريخ الإسلام» واحداً وثمانين كتاباً.

وأورد له ابن رجب اثنين وتسعين ومائة مؤلف[4].

وارتفع هذا الرقم إلى مائتي كتاب وخمسة في كتاب «هدية العارفين»[5].

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد: ٤/ ٣٣٠.

(٢) شذرات الذهب ٤/ ٣٣٠.

(٣) تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٤٢ وما بعدها.

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة: ١/ ٤١٦ ـ ٤٢١.

(٥) مرآة الزمان: ٨/ ٤٨٣ ـ ٤٨٨.

وإن كان يبدو فيه تكرارلبعض الكتب باختلاف العنوان، فقد ذكر له من الكتب: «تقويم اللسان، وذكر: ما يلحن فيه العامة». وهما كتاب واحد. وأحصى أبو المظفّر سبطُ ابن الجوزي، خمسة عشر ومائتي كتاب من تأليف ابن الجوزي. وسوف نذكر منها ما يسّره الله لي من مؤلفات عرفتُها، أو مخطوطات سمعت عنها من مشايخي وأساتذتي والله المستعان وعليه توكلت.

* كتبه المطبوعة:

١ ــ عجيب الخطب: ط. طهران ١٢٧٤ هـ.

٢ ــ الأذكياء: ط. المطبعة الشرقية ١٣٠٤ هـ والمطبعة اليمنية.

٣ ــ مولد النبي ﷺ: ط. المطبعة الحسينية ١٣٠٠ هـ. وط. ١٩٢٧ في القاهرة و١٣٣٠ هـ في بيروت.

٤ ــ روح الأرواح: المطبعة العلمية ١٣٠٩ هـ.

٥ ــ مُلتقط الحكايات: ط. القاهرة ١٣٠٩ هـ.

٦ ــ الياقوتة في الوعظ (ضمن مجموعة) المطبعة اليمنية ١٣١٢ هـ.

٧ ــ مناقب عمر بن العزيز أمير المؤمنين: برلين ١٩٠٠ م والقاهرة ١٣٣١ هـ.

٨ ــ تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث القاهرة ١٣٢٤ هـ.

٩ ــ رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير: ط. مطبعة الجمالية ١٩١٤ م.

١٠ ـ إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث: التجارية ١٣٣٧ هـ وطبع من كتاب مراتب المدلسين ١٣٢٢ هـ وطبع أيضاً في بومبي.

١١ ـ دفع شبهة التشبيه والرد على المجسِّمة، مطبعة الترقي ١٣٤٥ هـ.

١٢ ـ الوفا في فضائل المصطفى[1]: باعتناء برو كلمان.

١٣ ـ تنبيه النائم القُمْر[2] على حفظ مواسم العُمْر: ط. الجوائب ١٨٨٥ م.

١٤ ـ أخبار الحمقَى والمغفلين: ط. مطبعة التوفيق ـ ١٣٤٥ هـ، ١٣٥٧ هـ.

١٥ ـ أخبار الظّراف والمتماجنين: ط. مطبعة التوفيق ـ دمشق ١٣٤٧ هـ.

١٦ ـ تلبيس إبليس: ط. الهند ١٣٢٣ والقاهرة: ١٣٤٠ هـ، ١٣٤٧ هـ، ١٣٦٨ هـ.

١٧ ـ تاريخ عمر بن الخطاب: ط. مطبعة صبيح ١٩٢٩ م.

١٨ ـ لفتة الكبد إلى نصيحة الولد ط. مطبعة المنار ١٩٣١ م.

١٩ ـ المدهش: ط. بغداد ١٣٤٨ هـ.

٢٠ ـ تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسِّيَر: ط. الهند ١٨٦٩ و١٩٢٧.

---

(١) جاء في مقدمة «ذم الهوى» ص ١٦ أن هذا الكتاب مخطوط. والكتاب موجود في دار الكتب.

(٢) ذكره يوسف سركيس في معجم المطبوعات العربية: ٢/ ٦٧.

٢١ ـ مناقب بغداد، تحقيق بهجة الأثري : مطبعة دار السلام ـ بغداد ١٣٤٧ هـ.

٢٢ ـ صفة الصَّفوة (ويسمى صَفوة الصَّفوة[١]) : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر اباد الدكن ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ هـ.

٢٣ ـ صيد الخاطر : تحقيق ناجي الطنطاوي : ط. دار الفكر ـ دمشق ١٩٦٠ م، ونشر تحقيق محمد الغزالي : ط. دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦١ م.

٢٤ ـ بستان الواعظين ورياض السامعين[٢] : طبع مرتين. مطبعة المحمودي ـ القاهرة ١٩٣٤ ، ١٩٦٣.

٢٥ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ ط. دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ.

٢٦ ـ ذم الهوى بتحقيق مصطفى عبد الواحد : ط. دار الكتب الحديثة ١٩٦٢ م.

٢٧ ـ الذهب المسبوك في سير الملوك : ط. بيروت ١٨٨٥ م.

٢٨ ـ الطب الروحاني : ط. دمشق ١٣٤٧ هـ.

٢٩ ـ مناقب أحمد بن جنبل : ط. القاهرة ١٣٤٩ هـ.

٣٠ ـ مناقب الحسن البصري : ط. القاهرة ١٩٣١ م.

---

(١) ذكر في مقدمة «ذم الهوى» (ص ١٥) أنه مخطوط.

(٢) ذكر في مقدمة «ذم الهوى» (ص ١٦) أنه مخطوط.

كتبه اللغوية:

١ ــ تقويم اللسان[١].

٢ ــ مُشْكَل الصِّحاح (وهو حواش على صحاح الجوهري)[٢].

٣ ــ تذكرة الأريب في تفسير الغريب[٣].

٤ ــ الوجوه والنظائر في اللغة[٤].

٥ ــ المقامات الجَوْزِيّة في المعاني الوعظية وشرح الكلمات اللغوية[٥].

٦ ــ المقعد المقيم في العربية[٦].

---

(١) جاء في هدية العارفين: ١/ ٥٢٠، ٥٢٣ أن من كتب ابن الجوزي: ما تلحن فيه العامة ومنها تقويم اللسان. وهما كتاب واحد.

(٢) ذكره ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة: ٤٢٠ وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين: ١/ ٥٢٠ وما بعدها.

(٣) هذا في هدية العارفين والذيل على طبقات الحنابلة. وفي كشف الظنون: ١/ ٣٨٤ تذكرة الأريب في التفسير وفي تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٤٢: تذكرة الأريب في اللغة.

(٤) هكذا ورد في تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٤٣. وفي هدية العارفين: لم يرد في اللغة وفي كشف الظنون: ١/ ٢٠٠١: الوجوه النواضر في الوجوه النظائر لأبي الفرج ابن الجوزي ذكر فيه وجوه الآيات المفسرة في مجلس الوعظ ونظائرها.

(٥) هذا عنوانه في هدية العارفين. وعنوان المخطوط في مكتبة الأسكوريال رقم ٥٤٢ المقامات الجوزية في المعاني الوعظية. وفي وصفه أنه بعد كل مقامة يذكر شرحاً لغوياً بعنوان: تفسير غريب المقامة.

(٦) تذكرة الحفاظ ومرآة الزمان.

وفاته:

كانت وفاة ابن الجوزي على أثر مرض لم يمهله سوى خمسة أيام. وعلى أثر ذلك فارق الحياة في ليلة الجمعة الثاني من شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ. في مدينة بغداد بداره الواقعة في قطفتا، وحملت جنازته على رؤوس الناس إلى مقبرة باب حرب، فدفن عند أبيه قرب قبر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وكان يوماً مشهوداً لكثرة مشيعيه، حتى أفطر جماعة من شدة الزحام وحرارة الجو، وقد ترك موته فراغاً كبيراً في نفوس البغداديين، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين.

١٣ ــ قوله في تصرف اللغة وموافقة القرآن لها

لما [1] كانت اللغة تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره.

والثاني: المشتمل على الكنايات والإشارات والتجوزات.

وكان هذا القسم الثاني هو المستحلى عند العرب فنزل القرآن

---

(١) ذكر هذا الكلام بكامله وبنصه مع ذكر مثال واحد فقط لكل نوع من أنواع القسم الثاني من أقسام اللغة وأحياناً يذكر مثالين، وحذف بقية الأمثلة ـ ذكر كل ذلك في المدهش (ص: ٣٦، ٣٧).
من قوله: (لما كانت اللغة تنقسم قسمين. . . إلى قوله: ويضمرون الحروف «سنعيدها سيرتها الأولى»).

بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله، فكأنه قيل لهم: عارضوه بأي القسمين شئتم، ولو نزل كله واضحاً لقالوا: هلا نزل بالقسم المستحلى عندنا.

ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية أو استعارة أو تعريض أو تشبيه كان أحلى وأحسن. قال امرؤ القيس:

ما ذرفت عيناك إلا لتضربي
بسهميك في أعشار قلب مقتل

فشبه بالسهم فحلى هذا عند كل سامع.

وقال أيضاً:

فقلت له لما تمطى بصدره وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فجعل لليل صلباً وصدراً على جهة التشبيه.

وقال عنترة:

من كميت[1] أجادها طابخاها
لم تمت كل موتها في القدور

أراد بالطابخين الليل والنهار.

فنزل القرآن على عادة العرب في كلامهم، فمن عادتهم التجوز وفي القرآن: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾[2].

والكناية: وفي القرآن ﴿ولكن لا تواعدوهنّ سراً﴾[3].

(١) الكميت: الخمر: لما فيها من سواد وحمرة: [الوسيط (٢ / ٧٩٧)].
(٢) سورة البقرة: الآية ١٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

ويكنــون عـن الشــيء ولم يـجيء لــه ذكــر ﴿**حـتى تــوارت بالحجاب**﴾[١].

ويصلون الكناية بالشيء وهي لغيره ﴿**ولقـد خلقنا الإنسـان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة**﴾[٢].

ومن عادتهم الاستعارة: ﴿**من كل واد يهيمون**﴾[٣].

والحذف ﴿**الحج أشهر معلومات**﴾[٤].

وزيادة الكلمة ﴿**فاضربوا فوق الأعناق**﴾[٥].

ويـزيدون الحـرف ﴿**تنبت بالـدهن**﴾[٦]. ويقدمـون ويؤخـرون ﴿**عوجاً قيماً**﴾[٧].

ويذكرون عاماً ويريدون به الخاص ﴿**الـذين قال لهم النـاس**﴾[٨] يريد نعيم بن مسعود[٩].

---

(١) سورة ص: الآية ٣٢.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٢.
(٣)سورة الشعراء: الآية ٢٢٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٧.
(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ٢٠.
(٧) سورة الكهف: الآية ٢.
(٨) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.
(٩) هذا التفسير لكلمة (الناس) هو أحد أقوال ثلاثة ذكرها ابن الجوزي في كتابه «زاد المسير في علم التفسير» فقد ذكر أن المقصود به هـو نعيم بن مسعود = الأشجعي ونسب هذا القول لمجاهـد وعكرمة. [زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٠٤)].

وخاصاً يريدون به العام ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾[1] .

وواحداً يريدون به الجمع : ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾[2] .

وجمعاً يريدون به الـواحد: ﴿إن نعف عن طـآئفة منكم نعذِّب طآئفة﴾[3] .

وينسبون الفعل إلى اثنين وهو لأحدهمـا ﴿يخرج منهمـا اللؤلؤ والمرجان﴾[4] .

وإلى أحد اثنين وهو لهما ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾[5] .

وإلى جماعة وهو لواحد ﴿وإذا قتلتم نفساً﴾[6] .

ويأتون بالفعل بلفظ الماضي وهو مستقبل ﴿أتى أمر الله﴾[7] .

ويلفظ المستقبل وهو ماضي ﴿فلم تقتلون أنبياء الله﴾[8] .

ويأتون بلفظ فاعل في معنى مفعول ﴿لا عاصم﴾[9] ﴿من مـاء دافق﴾[10] .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ١ .
(٢) سورة الحج : الآية ٥ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٦٦ .
(٤) سورة الرحمن : الآية ٢٢ .
(٥) سورة التوبة : الآية ٦٢ .
(٦) سورة البقرة : الآية ٧٢ .
(٧) سورة النحل : الآية ١ .
(٨) سورة البقرة : الآية ٩١ .
(٩) سورة هود : الآية ٤٣ .
(١٠) سورة الطارق : الآية ٦ .

ويأتون بفعل في التكثير ﴿وغلقت الأبواب﴾[١]. وفي التقليل ﴿ما فرطنا﴾[٢].

ويضمرون الأفعال ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ [٣]. أي فضربوه.

ويضمرون الحروف ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ [٤].

١٤ ـ قوله في التكرير عند العرب

ومن عادتهم تكرير الكلام، وفي القرآن ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [٥].

وقد يريدون تكرير الكلمة، ويكرهون إعادة اللفظ فيغيرون بعض الحروف وذلك يسمى الاتباع، فيقولون: أسوان أتوان، أي حزين، وشيء تافه نافه، وإنه لتقف لثقف، وجايع نايع، وجل وبل، وحياك الله وبياك، وحقير نقير، وعين جدرة بدرة أي عظيمة، وخضر مضر، وسمج لمج، وسيغ ليغ، وشكس لكس، وشيطان ليطان، وتفرقوا شذر مذر، شقر بقر، ويوم عك أك، إذا كان حاراً وعطشان نطشان، وعفريت نفريت، وكثير بثير، [وكز لز]، وكن أن وحار جار بار، وقبيح شقيح لقيح، وثقة تقة نقة وهو أشق أمق حبق: للطويل، وحسن بسن

(١) سورة يوسف: الآية ٢٣.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٣) سورة البقرة: الآية ٧٣.
(٤) سورة طه: الآية ٢١.
(٥) سورة الرحمن: الآية ١٣.

قسن، وفعلت ذلك على رغمة ودغمه وشغمه، ومررت بهم أجمعين اكنجز ابصجز.

١٥ ـ قوله في الكلمات المتجاورة

وقد تأتي العرب بكلمة إلى جنب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها، وفي القرآن: ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ هذا قول الملأ فقال فرعون: ﴿فماذا تأمرون﴾[١] ومثله ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾[٢]. فقال يوسف: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾[٣].

ومثله: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾[٤] انتهى قول بلقيس فقال الله تعالى: ﴿وكذلك يفعلون﴾[٥].

ومثله: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾[٦] انتهى قول الكفار، فقالت الملائكة: ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾[٧].

١٦ ـ قوله في سعة اللغة وشمولها

وقد تجمع العرب شيئين في كلام فنرد كل واحد منهما إلى ما يليق به، وفي القرآن ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١١٠.
(٢) سورة يوسف: الآية ٥١.
(٣) سورة يوسف: الآية ٥٢.
(٤) سورة النمل: الآية ٣٤.
(٥) سورة النمل: الآية ٣٤.
(٦) سورة يس: الآية ٥٢.
(٧) سورة يس: الآية ٥٢.

نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾[1]، المعنى: يقول المؤمنون متى نصر الله فيقول الرسول: ألا إن نصر الله قريب.

ومثله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾[2]. فالسكون بالليل وابتغاء الفضل بالنهار.

ومثله: ﴿وتعزِّروه وتوقِّروه وتسبحوه﴾[3]. فالتعزير والتوقير للرسول، والتسبيح لله تعالى.

وقد يحتاج بعض الكلام إلى بيان فيبينونه متصلاً بالكلام تارة ومنفصلاً أخرى، وجاء القرآن على ذلك فمن المتصل ببيانه ﴿يسألونك ماذا أحلَّ لهم قل أحلَّ لكم الطيبات﴾[4] وأماالمنفصل فتارةيكون فيالسورة كقوله تعالى في سورة براءة ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾[5] مبيناً عند قوله ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾[6].

وتارة يكون في غير السورة كقوله في سورة البقرة: ﴿وأوفو بعهدي﴾[7]. بيانه في سورة المائدة: ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي﴾.[8]

وفي سورة النساء: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾[9] بيانه في سورة الحديد ﴿قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾[10].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٤.
(٢) سورة القصص: الآية ٧٣.
(٣) سورة الفتح: الآية ٩.
(٤) سورة المائدة: الآية ٤.
(٥) سورة التوبة: الآية ٩٤.
(٦) سورة التوبة: الآية ٤٧.
(٧) سورة البقرة: الآية ٤٠.
(٨) سورة المائدة: الآية ١٢.
(٩) سورة النساء: الآية ٤٢.
(١٠) سورة الحديد: الآية ١٣.

وفي سورة الأعراف: ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾[1] بيانه في تبارك ﴿قد جاءنا نذير فكذبنا﴾[2].

من الأعراف: ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى﴾[3] بيانها في براءة: ﴿إلا عن موعدة وعدها إياه﴾[4] بيانها في مريم: ﴿سأستغفر لك ربي﴾[5].

من يونس: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[6] بيانه في حم فصلت: ﴿تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾[7].

في إبراهيم: ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾[8] بيانه في العنكبوت: ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾[9].

في النحل: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾[10] بيانه في الأنعام: ﴿حرمنا كلَّ ذي ظفر﴾[11] في بني إسرائيل.

في الإسراء: ﴿ويدعو الإنسان بالشر﴾[12] بيانه في الأنفال: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾[13].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٧.
(٢) سورة الملك: الآية ٩.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٣٧.
(٤) سورة التوبة: الآية ١١٤.
(٥) سورة مريم: الآية ٤٧.
(٦) سورة يونس: الآية ٦٤.
(٧) سورة فصلت: الآية ٣٠.
(٨) سورة إبراهيم: الآية ٤٥.
(٩) سورة العنكبوت: الآية ٤٠.
(١٠) سورة النحل: الآية ١١٨.
(١١) سورة الأنعام: الآية ١٤٦.
(١٢) سورة الإسراء: الآية ١١.
(١٣) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

في طه: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾[1] بيانه في النازعات: ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾[2].

في الصافات: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾[3]. بيانه في القمر: ﴿أني مغلوب فانتصر﴾[4].

في الصافات: ﴿فحق علينا قول ربنا﴾[5] بيانه في ص: ﴿لأملأن جهنم﴾[6].

في الصافات: ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾[7] بيانه في المجادلة: ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾[8].

في المجادلة: ﴿فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾[9] بيانه في الأنعام: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾[10].

في ن: ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾[11] بيانه في الأنبياء: ﴿أن لا إله إلا أنت﴾[12].

وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارناً له، وقد يكون بعيداً عنه وعلى هذا ورد القرآن:

فأما المقارن فكقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي

---

(١) سورة طه: الآية ٤٤.
(٢) سورة النازعات: الآية ١٨.
(٣) سورة الصافات: الآية ٥٧.
(٤) سورة القمر: الآية ١٠.
(٥) سورة الصافات: الآية ٣٠.
(٦) سورة ص: الآية ٨٥.
(٧) سورة الصافات: الآية ١٧١.
(٨) سورة المجادلة: الآية ٢١.
(٩) سورة المجادلة: الآية ١٨.
(١٠) سورة الأنعام: الآية ٢٣.
(١١) سورة ن: الآية ٤٨.
(١٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

مواقيت﴾[1].

وأما البعيد فتارة يكون في السورة كقوله في الفرقان: **﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾**[2] جوابه فيها: **﴿ومآ أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾**[3].

وتارة يكون في غير السورة كقوله تعالى في الأنفال: **﴿لو نشآء لقلنا مثل هذا﴾**[4] جوابه في بني إسرائيل: **﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾**[5].

في الرعد: **﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾**[6] جوابه في يس: **﴿إنك لمن المرسلين﴾**[7].

في الحجر: **﴿إنك لمجنون﴾**[8] جوابه في ن: **﴿مآ أنت بنعمة ربك بمجنون﴾**[9].

في الفرقان: **﴿قالوا وما الرحمن﴾**[10] جوابه في الرحمن: **﴿الرحمن علم القرآن﴾**[11].

في الزخرف: **﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين**

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٩.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٧.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٠.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٣١.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
(٦) سورة الرعد: الآية ٤٣.
(٧) سورة يس: الآية ٣.
(٨) سورة الحجر: الآية ٦.
(٩) سورة ن: الآية ٢.
(١٠) سورة الفرقان: الآية ٦٠.
(١١) سورة الرحمن: الآية ١، ٢.

عظيم﴾[1] جوابه في القصص: **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾**[2].

في القمر: **﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾**[3] جوابه في الصافات: **﴿ما لكم لا تناصرون﴾**[4] في الطور: **﴿أم يقولون تقوله﴾**[5] جوابه في الحاقة: **﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾**[6].

فأما أجوبة الأقسام فتارة يكون القسم في أوائل السور وتارة في بعضها.

فأما الذي في أولها فقوله تعالى: **﴿والصفات﴾**[7] جوابه: **﴿إن إلهكم لواحد﴾**[8].

﴿ص والقرآن﴾[9] جوابه: **﴿إن ذلك لحق﴾**[10].

حم الزخرف: **﴿والكتاب المبين﴾**[11] وجوابه: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾**[12].

حم الدخان: **﴿والكتاب المبين﴾**[13] جوابه: **﴿إن هؤلاء ليقولون﴾**[14].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣١.
(٢) سورة القصص: الآية ٦٨.
(٣) سورة القمر: الآية ٤٤.
(٤) سورة الصافات: الآية ٢٥.
(٥) سورة الطور: الآية ٣٣.
(٦) سورة الحاقة: الآية ٤٤.
(٧) سورة الصافات: الآية ١.
(٨) سورة الصافات: الآية ٤.
(٩) سورة ص: الآية ١.
(١٠) سورة ص: الآية ٦٤.
(١١) سورة الزخرف: الآية ١.
(١٢) سورة الزخرف: الآية ٣.
(١٣) سورة الدخان: الآية ١.
(١٤) سورة الدخان: الآية ٣٤.

﴿ق والقرآن﴾[1] جوابه: ﴿إن في ذلك لذكرى﴾ [2].

﴿والذاريات﴾ [3] جوابه: ﴿إنما توعدون لصادق﴾ [4].

﴿والطور﴾[5] جوابه: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ [6].

﴿والنجم﴾ [7] جوابه: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ [8].

﴿والقلم﴾ [9] جوابه: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ [10].

﴿المرسلات﴾[11] جوابه: ﴿إنما توعدون لواقع﴾ [12].

﴿والنازعات﴾ [13] جوابه: ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ [14].

﴿والسماء ذات البروج﴾ [15] جوابه: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ [16].

﴿والفجر وليال عشر﴾ [17] وجوابه: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [18].

---

(١) سورة ق: الآية ١.
(٢) سورة ق: الآية ٣٧.
(٣) سورة الذاريات: الآية ١.
(٤) سورة الذاريات: الآية ٥.
(٥) سورة الطور: الآية ١.
(٦) سورة الطور: الآية ٧.
(٧) سورة النجم: الآية ١.
(٨) سورة النجم: الآية ٢.
(٩) سورة ن: الآية ١.
(١٠) سورة ن: الآية ٢.
(١١) سورة المرسلات: الآية ١.
(١٢) سورة المرسلات: الآية ٧.
(١٣) سورة النازعات: الآية ١.
(١٤) سورة النازعات: الآية ٢٦.
(١٥) سورة البروج: الآية ١.
(١٦) سورة البروج: الآية ١٢.
(١٧) سورة الفجر: الآية ١، ٢.
(١٨) سورة الفجر: الآية ١٤.

﴿والشمس﴾[1] جوابه: ﴿قد أفلح من زكاها﴾[2].

﴿والليل﴾[3] جوابه: ﴿إن سعيكم لشتى﴾[4].

﴿والضحى﴾[5] جوابه: ﴿ما ودعك ربك﴾[6].

﴿والتين﴾[7] جوابه: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[8].

﴿والعاديات﴾[9] جوابه: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾[10].

﴿والعصر﴾[11] جوابه: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾[12].

وأما الأقسام في غير أوائل السور فكثيرة كقوله: ﴿فوربك لنسألنهم﴾[13]. - ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾[14].

قال ابن الجوزي:

واعلم أن لغة العرب واسعة ولهم التصرف الكثير فتراهم يتصرفون في الكلمة الواحدة بالحركات فيجعلون لكل حركة معنى كالحَمل والحِمل والرُّوح والرَّوح.

---

(١) سورة الشمس: الآية ١.
(٢) سورة الشمس: الآية ٩.
(٣) سورة الليل: الآية ١.
(٤) سورة الليل: الآية ٤.
(٥) سورة الضحى: الآية ١.
(٦) سورة الضحى: الآية ٣.
(٧) سورة التين: الآية ١.
(٨) سورة التين: الآية ٤.
(٩) سورة العاديات: الآية ١.
(١٠) سورة العاديات: الآية ٦.
(١١) سورة العصر: الآية ١.
(١٢) سورة العصر: الآية ٢.
(١٣) سورة الحجر: الآية ٩٢.
(١٤) سورة الذاريات: الآية ٢٣.

وتارة بالإعجاب كالنضح والنضج، والقبضة والمضمضة والمصمصة.

وتارة يقلبون حرفاً من الكلمة ولا يتغير عندهم معناها كقولهم صاعقة وصاقعة وحيزب وحيبز، وما أطيبه وأيطبه، وربض ورضب، وأنبض من القوس وأنضب، ولعمري ورعملي، واضمحل وامضحل، وعميق ومعيق، وسبب وبسبس، وليكن الشيء وليكنه، وأسير مكلب ومكبل، وسحاب مكفهر ومكرهف وناقة ضمرز وضمزر[1] إذا كانت مسنة، وطريق طامس وطاسم وقفي الأثر وقاف الأثر وقاع البعير الناقة وقعاها، وقوس عطل وعلط: لا وتر عليها. وجارية قتين وقنيت: قليلة الرز وشرخ الشباب وشخره، أوله، ولحم خنز وخزن، وغاث يغيث، وعتى يعتي، وتنح عن لقم الطريق ولمق الطريق، وبطيخ وطبيخ، وماء سلسال ولسلاس، ومسلسل وملسلس إذا كان صافياً، ودقم فاه بالحجر: إذا ضربه، ودمقه، وفثأت القدر وثفأتها: إذا سكنت غليانها وكبكبت الشيء وبكبكته: إذا طرحت بعضه على بعض.

ومن سعة اللغة أن العرب تضع للشيء الواحد أسماء من غير تغير يعتريه فيقولون: السيف والمهند والصارم.

ويغيرون الاسم بتغير يعتريه فيقولون لمن نزل في الركى[2] فملأ الدلو: مايح، وللمستقي من أعلاها: ماتح، فالتاء المعجمة من فوق لمن فوق، والياء المعجمة من تحت لمن تحت.

---

(١) ضمرز: أي مسنة وقيل كبيرة قليلة اللبن. [اللسان (٥/ ٣٦٧ ـ ضمرز].

(٢) الركى: جمع ركية: وهو البئر.

١٧ - قوله في الكنى عند العرب

العرب تكنى بالأب فتقول: أبو الحارث: الأسد، وأبو جعدة: الذئب، وأبو حصين: الثعلب، وأبو اليقظان: الديكي، وأبو فراش: السنور، وأبو عمرة: الجوع.

ويكنون بالأم قال الله تعالى: ﴿لتنذر أم القرى﴾[١] وقال رسول الله ﷺ لرجل «وأخذتك أم ملدم»[٢] يعني الحمى، وأم غياث: السماء، وأم الظباء: الفلاة، وأم راشد: المفازة، وأم معمر: الليل وأم عمرو: الضبع، وأم الهيثم: العقاب وأم عوف: الجرادة وأم حبين: دويبة، وأم الندامة: العجلة، وأم الدهيم: المنية وأم الزيبق: الداهية، وكذلك أم قشعم، وأم الرقوب، وأم حبوكوي.

أما ذكرهم الابن فقال تعالى: ﴿وابن السبيل﴾[٣] وهو المسافر وابن بيض: المنكشف الحال، وابن جلا: المنجلي الأمر، وابن خلاوة: البريء من الشيء، وابن أنس الصقر، وابن يم: الخليج وابن داية: الغراب، وابن ذكاء: الصبح، وابن طاب: جنس من

---

(١) سورة الشورى: الآية ٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير من طريق سويد بن سعيد ثنا بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد عن شبيب بن نعيم مرفوعاً بلفظ (أم ملدم تأكل اللحم وتشرب الدم بردها وحرها من جهنم). قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٧): فيه بقية بن الوليد وهو مدلس قال محقق الطبراني: أبو بكر بن أبي مريم ضعيف وفي سويد بن سعيد كلام.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

الرطب، وابن ثاداء وثاطاء: ابن الأمة، وابن بلدتها وابن بعطتها وابن بجرتها: العالم بالشيء، وابن أقوال: المقتدر على الكلام وطامر بن طامر: البرغوث، وابنا سمير: الليل والنهار.

١٨ ـ قوله في الهلال وأطواره

في قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الأهلة**﴾[١] إنما سمي الهلال هلالاً، لأنه حين يرى يهل الناس بذكره أي يرفعون أصواتهم من قولهم أستهل الصبي، ويقال: أهل الهلال، ولا يقال أهل وحتى كم يسمى هلالاً فيه أربعة أقوال:

أحداها: يسمى هلالاً لليلتين.

والثاني: في ثلاث ليالٍ.

والثالث: حتى يحجز وتحجيزه أن يستدير بخطة دقيقة.

والرابع: إلى أن يبهر ضوؤه سواد الليل، وهذا يكون في الليلة السابعة ثم يسمى قمراً. وقد جعلت العرب لكل ثلاث من الشهر اسماً فقالوا ثلاث غرر لأن غرة كل شيء أوله، وثلاث نقل لأنها زيادة على الغرر وثلاث تسع لأن آخر أوائلها التاسع وثلاث عشر لأن أول أيامها العاشر وثلاث بيض لأنها تبيض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها. وثلاث درع لاسوداد أوائلها، وثلاث أظلم لإظلامها وثلاث حنادس لسوادها، وثلاث دآدىء لأنها بقايا وثلاث محاق لانمحاق القمر أو الشهر.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

وأما ذكرهم للبنات فيقولون: بنت الخيل: للصراع وللحية التي لا تجيب الراقي. وبنت الشفة: الكلمة. وبنت أديبة: النعامة وبنات الليل: الأحلام، وبنات صبق: للدواهي.

١٩ ـ قوله في [منازل النجوم والكواكب]

قال الله تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل﴾[١] للشمس ثلثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب فهي في كل يوم تطلع من مشرق وتغرب في مغرب ولا تقطع فلكها إلا في سنة. فأما القمر فإنه يقطع فلكه في شهر فذلك أنه ينزل كل ليلة منزلاً ومنازله ثمانية وعشرون ثم يستتر. والمنازل التي ينزلها هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء وأسماؤها ـ السرطان ـ والبطين ـ والثريا ـ والربران ـ والنثرة ـ والطرف ـ والجبهة ـ والزبرة ـ والصرمة ـ والعوا ـ والسماك ـ والغفر ـ والزياني ـ والاكليل ـ والقلب ـ والشولة ـ والنعايم ـ والبلدة ـ وسعد الذابح ـ وسعد بلع ـ وسعد السعود ـ وسعد الأخبية ـ وفرغ الدلو المقدم ـ وفرغ الدلو المؤخر ـ والرشاء وهو الحوت ـ والأنواء النجوم، واحدها نوء وسمي نوءاً لأنه إذا سقط فالطالع يسقط ويسقط في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله من ساعته فتنقضي الثمانية والعشرون مع انقضاء السنة.

وكانت العرب تقول إذا سقط نجم منها وطلع آخر فلا بد من مطر، فكانوا ينسبون ذلك إلى النجم، ووفي الصحيحين من حديث

---

(١) سورة يونس: الآية ٥.

زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب»[١]، واعلم أنه إنما ذمهم لأنهم نسبوا المطر إلى فعل النجم فأما من قال مطرنا في نوء كذا فإنه لا يذم لهذا قال عمر: كم بقي من نوء الثريا؟ أي كم بقي من الوقت الذي جرت العادة انه إذا تم جاء المطر.

٢٠ ـ قوله في أسرار قرآنية

في القرآن آيتان كل واحدة تحوي حروف المعجم في آل عمران ﴿**ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً**﴾[٢] وفي الفتح: ﴿**محمد رسول الله**﴾[٣].

---

(١) أخرجه مالك [١/ ١٩٢] وعنه البخاري [٢/ ٣٣٣/ فتح] ومسلم [١/ ٨٣/ عبد الباقي] واللفظ له، وأبو عوانة [١/ ٢٦] وأبو داود [٤/ ١٦] وأحمد [٤/ ١١٧] والنسائي في اليوم والليلة [٩١٣] والبيهقي [٢/ ١٨٨] من طريق مالك عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد الجهني. كما تابع سفيان بن مالك كما عند النسائي [٣/ ١٦٥] وأبي عوانة [١/ ٢٧].

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.

إن قيل لك أين في القرآن سورة ليس فيها اسم الله الذي هو الله فقل: سورة القمر وسورة الرحمن وسورة الواقعة. فأما المجادلة فما فيها آية إلّا وفيها اسم الله تعالى.

٢١ ــ قوله في القراءات

قوله تعالى: ﴿**وإياك نستعين**﴾[١] قرأ الأعلام بفتح النون، وكسرها الأعمش، وقد قرأوا: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾[٢] ﴿**وتطمئن قلوبنا**﴾[٣] ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾[٤]. و﴿**مالك لا تأمنا**﴾[٥] و﴿**ما يشاءون**﴾[٦] وهؤلاء يقولون أنت تلحن وتذهب.

وقوله تعالى: ﴿**أأنذرتهم**﴾[٧] قرأ عاصم في آخرين: ﴿**أنذرتهم**﴾ بهمزتين مفتوحتين من غير مد وهي لغة هزيل وقرأ أبو عمرو بهمزة بعدها مدة وهي لغة تميم.

قال ذو الرمة:

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا أأنت أم أم سالم

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٣.

(٤) سورة هود: الآية ١١٣.

(٥) سورة يوسف: الآية ١١.

(٦) سورة النحل: الآية ٣١.

(٧) سورة البقرة: الآية ٦.

أي أنت أحسن أم هي.

وقال الآخر:

وتطاللت فاستشرفته فرأيته
فقلت له: أأنت زيد الأرقم

ومن العرب من يبدل النبرة الثانية عيناً لتقاربهما في المسلك وأن العين عندهم أخف من النبرة ويروي بيت ذي الرمة:

أعن ترسمت من فوق منزلة
ماء الصبابة من عينيك مسجوم

ويريد أأن، وقال أيضاً فيما إلا استفهام فيها.

فعيناك عيناها وجيداك جيدها
وثغرك إلا عنها غير عاطل

يريد إلا أنها، وهذه التي يقال لها عنعنة تميم.

ومن الرواة من يروي هذا البيت:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها
وثغرش إلا عنها غير عاطل

وتسمى كشكشة سليم وهو إبدال كاف المخاطبة شيناً.

قوله تعالى: ﴿فسيكفيكهم الله﴾[1] فيه ثلاثة أسماء الياء والكاف المتصلتان بالسين لله والياء والكاف المتصلتان بالهاء لرسول الله ﷺ والهاء والميم للكفار.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٧.

٢٢ ـ قوله في ذكر أمثال القرآن

الأمثال حكمة العرب، وفي القرآن ثلاثة وأربعون مثلاً، وكم كلمة تدور على الألسنة مثلاً جاء القرآن بألخص منها وأحسن، فمن ذلك قولهم، القتل أنفى للقتل مذكور في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾(١)

وقولهم ليس المخبر كالمعاين مذكور في قوله تعالى: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾(٢)

وقولهم ما تزرع تحصد مذكور في قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾(٣)

وقولهم: للحيطان آذان مذكور في قوله تعالى: ﴿وفيكم سماعون لهم﴾(٤).

وقولهم الحمية رأس الدواء مذكور في قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾(٥).

وقولهم احذر شر من أحسنت إليه مذكور في قوله تعالى: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.
(٣) سورة النساء: الآية ١٢٣.
(٤) سورة التوبة: الآية ٤٧.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٣١.
(٦) سورة التوبة: الآية ٧٤.

وقولهم من علامة المدبر أن ينتظر المقبل أن يدبر مذكور في قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾(١).

وقولهم خير الأمور أوساطها مذكور في قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾(٢).

وقولهم من أعان ظالماً سلطه الله عليه مذكور في قوله تعالى: ﴿كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله﴾(٣).

وقولهم لا تلد الحية إلا حية مذكور في قوله تعالى: ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾(٤).

٢٣ ـ قوله في الوجوه والنظائر

فصل ـ الباء ـ

تذكر في القرآن بمعنى اللام: ﴿وإذا فرقنا بكم البحر﴾(٥).

وبمعنى عند: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾(٦).

وبمعنى في: ﴿بيدك الخير﴾(٧).

وبمعنى بعد: ﴿فأثابكم غماً بغم﴾(٨).

وبمعنى على: ﴿لو تسوى بهم الأرض﴾(٩).

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٩.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٩.
(٣) سورة الحج: الآية ٤.
(٤) سورة نوح: الآية ٢٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ٥٠.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٧.
(٧) سورة آل عمران: الآية ٢٦.
(٨) سورة آل عمران: الآية ١٥٣.
(٩) سورة النساء: الآية ٤٢.

وتكون صلة: ﴿فامسحوا بوجوهكم﴾[1].

وبمعنى المصاحبة: ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾[2].

وبمعنى إلى: ﴿ما سبقكم بها﴾[3].

وبمعنى السبب: ﴿والذين هم به مشركون﴾[4].

وبمعنى عن: ﴿فاسأل به خبيراً﴾[5].

وبمعنى مع: ﴿فتولى بركنه﴾[6] أي مع جنده.

وبمعنى من: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾[7].

٢٤ ـ قوله في معنى الحق

الحق بمعنى الجرم: ﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾[8].

وبمعنى البيان: ﴿الآن جئت بالحق﴾[9].

ومعنى المال: ﴿وليملل الذي عليه الحق﴾[10].

وبمعنى القرآن: ﴿فقد كذبوا بالحق﴾[11].

وبمعنى الصدق: ﴿قوله الحق﴾[12].

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.
(٢) سورة المائدة: الآية ٦١.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٨٠.
(٤) سورة النحل: الآية ١٠٠.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٥٩.
(٦) سورة الذاريات: الآية ٣٩.
(٧) سورة الإنسان: الآية ٦.
(٨) سورة البقرة: الآية ٦١.
(٩) سورة البقرة: الآية ٧١.
(١٠) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(١١) سورة الأنعام: الآية ٥.
(١٢) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

وبمعنى العدل: ﴿قومنا بالحق﴾[1].

وبمعنى الإسلام: ﴿ليحق الحق﴾[2].

وبمعنى المنجز: ﴿وعداً عليه حقاً﴾[3].

وبمعنى الحاجة: ﴿ما لنا في بناتك من حق﴾[4].

وبمعنى لا إله إلا الله: ﴿له دعوة الحق﴾[5].

ويراد به الله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾[6].

وبمعنى التوحيد: ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾[7].

وبمعنى الحظ: ﴿في أموالهم حق معلوم﴾[8].

٢٥ ـ قوله في الخير[9]

يراد به القرآن: ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾[10].

---

(١) سورة الأعراف: الاية ٨٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٨.

(٤) سورة هود: الآية ٧٩.

(٥) سورة الرعد: الآية ١٤.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

(٧) سورة المؤمنون: الآية ٧٠

(٨) سورة المعارج: الآية ٢٤.

(٩) هذا الفصل بنصه ورد بالمدهش (ص/ ٢٧، ٢٨) تحت عنوان «باب الخير» من قوله (يراد به القرآن.. إلى قوله وبمعنى الدنيا: وإنه لحب الخير لشديد).

(١٠) سورة البقرة: الآية ١٠٥.

ويراد به الأنفع: ﴿نأت بخير منها﴾[1].

ويراد به المال: ﴿إن ترك خيراً﴾[2].

ويراد به ضد الشر: ﴿بيدك الخير﴾[3].

ويراد به الإصلاح: ﴿يدعون إلى الخير﴾[4]

ويراد به الولد الصالح: ﴿ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[5].

ويراد به العافية: ﴿وإن يمسسك بخير﴾[6].

ويكون بمعنى النافع: ﴿لاستكثرت من الخير﴾[7].

وبمعنى الإيمان: ﴿رلو علم الله فيهم خيراً﴾[8].

وبمعنى رخص السعر: ﴿إني أراكم بخير﴾[9].

وبمعنى النوافل: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾[10]

وبمعنى الأجر: ﴿لكم فيها خير﴾[11].

وبمعنى الأفضل: ﴿وأنت خير الراحمين﴾[12].

وبمعنى العفة: ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾[13].

وبمعنى الصلاح: ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾[14].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٥) سورة النساء: الآية ١٩.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٧.

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٨) سورة الأنفال: الآية ٢٣.

(٩) سورة هود: الآية ٨٤.

(١٠) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(١١) سورة الحج: الآية ٣٦.

(١٢) سورة المؤمنون: الآية ١٠٩.

(١٣) سورة النور: الآية ١٢.

(١٤) سورة النور: الآية ٣٣.

وبمعنى الطعام: ﴿إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ [1].

وبمعنى الظفر: ﴿لم ينالوا خيراً﴾[2].

وبمعنى الخيل: ﴿إني أحببت حب الخير﴾[3].

وبمعنى القوة: ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾[4].

وبمعنى حسن الأدب: ﴿لكان خيراً لهم﴾[5].

وبمعنى الدنيا: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾[6].

٢٦ ـ قوله في «في» واللام

وتكون بمعنى الظرف: ﴿لا ريب فيه﴾[7].

وبمعنى نحو: ﴿قد ترى تقلب وجهك في السماء﴾[8].

وبمعنى الباء: ﴿في ظلل﴾[9].

وبمعنى إلى: ﴿فتهاجروا فيها﴾[10].

وبمعنى مع: ﴿ادخلوا في أمم﴾[11].

وبمعنى عند: ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾[12].

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٤.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٥.
(٣) سورة ص: الآية ٣٢.
(٤) سورة الدخان: الآية ٣٧.
(٥) سورة الحجرات: الآية ٥.
(٦) سورة العاديات: الآية ٨.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٤٤.
(٩) سورة البقرة: الآية ٢١٠.
(١٠) سورة النساء: الآية ٩٧.
(١١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.
(١٢) سورة هود: الآية ٩١.

وبمعنى عن: ﴿أتجادلونني في آسماء﴾[1].

وبمعنى على: ﴿في جذوع النخل﴾[2].

وبمعنى اللام: ﴿وجاهدوا في الله﴾[3].

وبمعنى من: ﴿يخرج الخبء في السموات﴾[4].

ـ اللام ـ

في القرآن على ضربين مفتوحة ومكسورة، فالمفتوحة ترد بمعنى التوكيد: ﴿إن إبراهيم لحليم﴾[5].

وبمعنى القسم: ﴿ليقولن ما يحبسه﴾[6].

وزائدة: ﴿ردف لكم﴾[7].

والمكسورة ترد بمعنى الملك: ﴿لله ما في السموات﴾[8].

وبمعنى أن: ﴿ليطلعكم على الغيب﴾[9].

وبمعنى إلى: ﴿هدانا لهذا﴾[10].

وبمعنى كي: ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾[11].

وبمعنى على: ﴿دعانا لجنبه﴾[12].

---

(١) سورة الأعراف: الاية ٧١.

(٢) سورة طه: الآية ٧١.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٤) سورة النمل: الآية ٢٥.

(٥) سورة هود: الآية ٧٥.

(٦) سورة هود: الآية ٨.

(٧) سورة النمل: الآية ٧٢.

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٩) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

(١٠) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(١١) سورة يونس: الآية ١٢.

(١٢) سورة يوسف: الآية ٤٣.

وصلة: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾[1].

وبمعنى عند: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾[2].

وبمعنى الأمر: ﴿ليستأذنكم﴾[3].

وبمعنى العاقبة: ﴿ليكون لهم عدواً﴾[4].

وبمعنى في: ﴿لأول الحشر﴾[5].

وبمعنى السبب والعلة: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾[6].

٢٧ ـ قوله في التحذير من أقوام تشبهوا بالمذكرين فأحدثوا وابتدعوا حتى أوجب فعلهم إطلاق الذم للقصاص

قال ابن الجوزي: لما كان الخطاب بالوعظ في الأغلب للعوام وجد جهال من القصاص طريقاً إلى بلوغ أغراضهم. ثم ما زالت بدعهم تزيد حتى تفاقم الأمر فأتوا بالمنكرات في الأفعال، والأقوال، والمقاصد.

فأما الأفعال فعلى ضربين: أحدهما يجري من القصاص، والثاني ما يجري عندهم من المستمعين.

---

(١) سورة طه: الآية ١٠٨.

(٢) سورة النور: الآية ٥٨.

(٣) سورة القصص: الآية ٨.

(٤) سورة الحشر: الآية ٢.

(٥) سورة الإنسان: الآية ٩.

(٦) سورة   : الآية

فأما الذي يجري من القصاص فإنهم أحدثوا إلباس المنبر الخرق المتلونة كأنها المنثور، وتعليق المصلى على الحائط. فتضرب له المسامير في حائط المسجد، وهذا من جنس ستر الجدر بالأثواب. فيوجب في القلوب هيبة للقائل أكثر من هيبة من هو على خشبة معراة. فيقرب أمره.

ومن ذاك تخاشع الواعظ زيادة على ما في قلبه، وفيهم من يرتعد ويتباكى تصنعاً.

قال ابن الجوزي: ورأيت قاصاً كان إذا صعد المنبر غطى وجهه وارتعد إلى أن يفرغ القراء من القراءة، يفعل هذا دائماً.

وقال أيضاً: ورأيت في كتاب قد صنفه عزيزي[1] أن في القصاص من يتبخر بالزيت والكمون ليصفر وجهه. وبلغني أن منهم من يمسك معه ما إذا شمه سال دمعه وفيهم من يخرق أثوابه. ويرمي نفسه من على المنبر تواجداً.

ومن ذلك ما يظهر من بعضهم عند قراءة البسملة من الصعود والنزول، ودق المنبر، والايقاع بالقدم ما يشبه الخنكرة.

قال أبو الحسين الخياط: مررت بأبي عبد الله غلام خليل وهو في مجلسه ببغداد، وقد قام على أربع. فقلت لبعض أهل المجلس: ويحكم! ما شأن أبي عبد الله؟ فقال: هو يحكي عبد الرحمن بن عوف على الصراط يوم القيامة.

---

(١) شذرات الذهب: ٣/ ٤٠١.

قال: ومررت به يوماً آخراً في مجلس له وهو مادّ يديه قد حنى ظهره. فقلت لبعضهم: ما حاله؟ قال: يحكي كيف يلقي الله كنفه على عبده يوم القيامة.

ومن ذلك أن بعض القصاص يرمي ثوبه على القارىء ليوافق. فيوافقه أقوام لئلا يُرموا بالبخل. ومتى حصل شيء على خوف الذم لم يكن حلالاً. كما يُعطى الشاعر خوف هجوه. ثم يقتسم الواعظ والقارىء ما حصل.

قال ابن عقيل: ومن دقيق الورع ومكارم الأخلاق أن لا يقبل النائل ولا البذل في حال اهتياج الطباع، ومن حزن أو سرور. فذلك كبذل السكران ومعلوم أن الرأي لا يتحقق إلا مع اعتدال المزاج. وقل أن يصح رأي مع فورة طبع، من طرب أو حزن أو غضب. فإذا بذل باذل في فورته تلك تعقبه الندم بعد زوال تلك الفورة ومن ها هنا قال عليه السلام: «لا يقضي القاضي بين إثنين وهو غضبان»، والغضبان يندم إذا سكنت فورته على ما بدر منه في فورة الغضب، وكذلك المسرور يندم على تخريفه في العطاء.

ومن ذلك أن بعضهم يتزين بالثياب وحسن الحركات فيميل إليه النساء.

قال أبو حامد الطوسي[1]: متى كان الواعظ شاباً متزيناً للنساء في ثيابه وهيئته، كثير الأشعار والحركات والاشارات، ويحضر

---

(١) شذرات الذهب: ٤/ ١٠.

مجلسه النساء، فيحذر منه، وهذا منكر يجب منعه. فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح. ولا ينبغي أن يعظ إلا من ظاهره الورع، وهيئته السكينة والوقار، وزيه زي الصالحين.

ومن ذلك أن بعض القصاص يصافحون النساء، يلبسونهن الخرق، ويقال هذه من بنات الكرسي، وكأنهم ما سمعوا أن رسول الله ﷺ ما صافح امرأة قط.

وأما ما يجري من المستمعين فمن ذلك التخبيط الذي يسمونه الوجد، وتخريق الثياب، واللطم على الرأس والوجه. فترى الواجد يزعمه يستغيث، ويخرق ثيابه، ويقع على الناس. وما جرى مثل هذا لأصحاب رسول الله ﷺ وقد كانوا أصفى قلوباً وأصلح أعمالاً.

قال ابن الجوزي: أخبرنا عبد الله بن علي المقرىء قال: أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار قال: أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: أخبرنا إبراهيم بن عبد الله البصري قال: حدثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير قال: أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي قال: حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال: قلت لأسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله عند قراءة القرآن؟ قالت كانوا كما وصفهم الله ـ عز وجل ـ تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم. فقلت لها: إن هاهنا رجالاً إذا قُرىء عليهم القرآن غُشي عليهم فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قال ابن عقيل: واعلم أن الخروج عن حيز التماسك إلى حيز الطرب والتهور فتن دخلت على العقول (من غلبات الطباع وإنما حظ العقول) من الحقائق التلقي بالفهوم والجمود الذي لا انخداع معه.

وقد قال تعالى: ﴿فَلَما حضروه قالوا أنصتوا﴾[1] وقال: ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾[2].

فأما التخبط وتخريق الثياب والصياح فليس من قانون الشرع. ولذلك أمر بخفض الصوت وغضه، وقد قال تعالى: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[3]. ونهى عن إضاعة المال. وهل نهت الشريعة عن شرب العقار إلا لما يؤدي إليه من الفساد؟ وإنما الشريعة وقار وسداد.

فإن قال قائل: إن الذين يمزقون ثيابهم لا يعقلون حينئذ. فقد قال ابن عقيل: إذا علموا أن حضورهم تلك الأماكن يوجب بهم طرباً يزيل عقولهم أثموا بالحضور، ووجب عليهم تجنبها. هذا إن صدقوا في غلبة الطرب عليهم، وإن كذبوا، فقد أفسدوا مع الصحة. فلا يسلمون في الحالين.

قال ابن الجوزي: قلت: وقد قال ابن سيرين: يقعد أحدهم على الحائط ويقرأ عليه القرآن، فإن رمى نفسه فهو محق.

ومن ذلك مزاحمة الرجال للنساء في المجلس، وربما اختلطوا:

وقد روى حمزة عن ابن شوذب عن أبي لتياح قال: قلت للحسن: إمامُنا يقص، فيجتمع الرجال والنساء فيرفعون أصواتهم بالدعاء. فقال الحسن: إن رفع الأصوات بالدعاء لبدعة، وإن مد

---

(١) آية ٢٩ من سورة الأحقاف.

(٢) آية ٦٣ من سورة الفرقان.

(٣) آية ١٩ من سورة لقمان.

الأيدي بالدعاء لبدعة، وإن اجتماع الرجال والنساء لبدعة.

فأما الأقوال فعلى ضربين، قول من القصاص وقول من الحاضرين.

فأما القول الصادر من القصاص فمن خساستهم ورذالتهم من يكذب.

قال ابن الجوزي: أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أبو الحسين بن أبي الحسين الجوهري قال: حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال: حدثنا أبو يونس الوراق قال: حدثني الصقر بن برد قال: حدثني محجن بن حيون الهرتمي قال: حدثني وصاب بن صالح عن الشعبي قال: بينما عبد الملك جالس وعنده وجوه الناس من أهل الشام، قال لهم: من أعلم أهل العراق؟ قالوا: ما نعلم أحداً أعلم من عامر الشعبي. فأمر بالكتاب إلي فخرجت إليه حتى نزلت تدمر. فوافقت يوم جمعة، فدخلت أصلي في المسجد، فإذا إلى جانبي شيخ عظيم اللحية قد أطاف به قوم من أهل المسجد، وهم يكتبون عنه.

فحدثهم قال: حدثني فلان عن فلان يبلغ به النبي ﷺ أن الله تعالى خلق صورين، له في كل صور نفختان: نفخة الصعق ونفخة القيامة. قال الشعبي: فلم أضبط نفسي أن خففت صلاتي. ثم انصرفت فقلت: يا شيخ! اتق الله ولا تحدثن بالخطأ. إن الله تعالى لم يخلق إلا صوراً واحداً. وإنما هي نفختان: نفخة الصعق ونفخة القيامة. فقال لي: يا فاجر: إنما يحدثني فلان عن فلان. وترد علي؟

ثم رفع نعله فضربني بها، وتتابع القوم علي ضرباً معه. فوالله! ما أقلعوا عني حتى حلفت لهم أن الله ـ تعالى ـ خلق ثلاثين صوراً، له في كل صور نفخة. فأقلعوا عني. فرحلت حتى دخلت دمشق ودخلت على عبد الملك[1] فسلمت عليه، فقال لي: يا شعبي! بالله حدثني بأعجب شيء رأيته في سفرك! فحدثته حديث التدمريين. فضحك حتى ضرب برجليه.

قال ابن الجوزي أخبرنا أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري قال: أخبرنا محمد بن مرزوق قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن يوسف القطان النيسابوري قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدويه. وأنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز قال: أخبرنا هناد بن إبراهيم النسفي قال: أخبرنا يحيى بن إبراهيم بن محمد المزكي، قالا: أخبرنا الزبير بن عبد الواحد قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الواحد قال: سمعت جعفر بن الطيالسي يقول: صلى ابن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاص فقال حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، خلق الله ـ تعالى ـ له من كل كلمة منها طائراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان».

وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة. فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، ويحيى ينظر إلى أحمد بن حنبل. فقال: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت بهذا إلا هذه الساعة. قال:

---

(١) شذرات الذهب: ١/ ٩٧.

فسكتا جميعاً حتى فرغ من قصصه. وأخذ القطيعات، ثم قعد ينتظر بقيتها، فقال له يحيى بن معين بيده: تعال. فجاء متوهماً لنوال يجيزه. فقال له: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله. فإن كان لا بد والكذب فعلى غيرنا. فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم. قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققته إلا الساعة. فقال له يحيى بن معين: كيف علمت أني أحمق؟ قال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد ابن حنبل غيركما. قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فوضع أحمد كمه على وجهه وقال: دعه يقوم. فقام كالمستهزىء بهما.

وقد روى أبو بكر الخلال قال: أخبرني محمد بن أبي هارون أن أبا الحارث حدثهم أنه سمع أحمد بن حنبل يقول: أكذب الناس القصاص والسؤال.

قال ابن الجوزي: أخبرنا المبارك بن أحمد قال: حدثنا ابن مرزوق قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن حسنون(١) قال: أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الحسين قال: أخبرنا العباس بن موسى بن إسحاق الأنصاري قال: أخبرنا محمد بن يونس الكديمي(٢) قال: كنت بالأهواز فسمعت شيخاً يقص. فقال:

---

(١) شذرات الذهب: ٣/ ٣١٠.

(٢) شذرات الذهب: ٢/ ١٩٤.

لما زوج النبي ﷺ علياً [فاطمة] أمر [الله] طُوبى أن تنثر اللؤلؤ الرطب يتهاداه أهل الجنة بينهم في الأطباق. فقلت له: يا شيخ! هذا كذب على رسول الله عليه السلام. فقال: ويحك! اسكت. حدثني الناس. قلت: من حدثك؟ قال: حدثني يمان البحري عن حفص التستري عن وكيع بن الجراح عن عبد الله بن مسعود عن الأعمش عن عطاء عن ابن عباس.

قال ابن الجوزي: أخبرنا أبو المعمر الأنصاري قال: أخبرنا يحيى بن عبد الوهاب بن منده قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد ابن محمد بن عبد الرحيم قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد ابن حيان قال: حدثنا أبو بكر هارون بن روح البرديجي قال: حدثنا عبد الله بن الأزهر قال: حدثنا أبو أسباط قال: حدثنا محمد بن موسى الجرجاني قال: سمعت محمد بن كثير الصنعاني(١) يقول: الجلوس إلى القصاص فيه ثلاث خصال: الرضا، واستخفاف بالعقل، وذهاب المروءة. فقلت له: قد شددت. فقال: والله لو أني ملكت شيئاً من أمور المسلمين لنكلت بهم! قلت: بأي حجة؟ قال: هم أكذب الخلق على الله وعلى أنبيائه. ومن يجلسُ إليهم شر منهم. قلت: أليس كان ابن مسعود يذكر؟ قال: ما قال؟ إنما أراد بذلك ابن مسعود التواضع ومنفعة المسلمين. ولم يكذب على الله تعالى ولا على رسوله عليه السلام قلت: فما تقول فيمن لا يسأل الدراهم؟ أجلس إليه أم لا؟ قال: إن كانَ بصيراً بالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والخاص والعام، يوافق قوله فعله، فاجلس إليه، وإلا

---

(١) شذرات الذهب: ٢/ ٣٨.

فاجتنبه، فإنه يكذب على الله وعلى رسوله فتشاركه في كذبه.

قال ابن الجوزي: قلت: وقد كان في زماننا قاص حدثني عنه فقيهان ثقتان أنه حدثهما قال: صعدت إلى المنبر يوم عاشوراء فقلت: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عاشوراء كان له وكان له...» وسردت من هذا كثيراً كله وضعته في الوقت.

قال ابن الجوزي: وفي القصاص من يسمع الحديث فيخلطه إذا رواه، ويزيد فيه.

قال ابن الجوزي: أخبرنا المبارك بن أحمد قال: أخبرنا محمد ابن مرزوق قال: أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال: قرأت على أبي عمر الحسن بن عثمان الواعظ عن محمد بن الحسن النقاش قال: حُدثتُ عن أبي الوليد الطيالسي[1] قال: كنت مع شعبة، فدنا منه شاب. فسأل عن حديث فقال له: أقاصّ أنت؟ قال: نعم. قال: اذهب، فإنا لا نحدث القصاص. فقلت له: لم يا أبا بسطام؟ قال: يأخذون الحديث منا شبراً فيجعلونه ذراعاً.

قال ابن الجوزي: أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: حدّثنا الحسن بن علي الوراق قال: حدثنا الهيثم بن خلف الدوري قال: حدثنا قاسم بن أحمد بن معروف قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا شعبة عن أيوب قال: ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص.

قال ابن الجوزي: وفي القصاص من يسمع الأحاديث

---

(١) شذرات الذهب: ٢ / ٦٢.

الموضوعة فيرويهـا ولا يعلم أنها كـذب. فيؤذي بها النـاس. وربما سمعها من أفواه العوام فرواها. وربما سمـع كلام الحسن أو سري السقطي فقال: قال رسول الله. وقد صنف من لا علم له بالنقل كتباً فيها الموضوع . . . والمحال.

فترى القصاص يوردون منها ويزيدون فيها ما يوجب تحسيناً لها. وممن صنف لهم في هـذا، الحـارث المحـاسبي[1]، وأبـو طـالب المكي وأبو حامد الطوسي فإنهم أدرجوا في كتبهم أحاديث باطلة ولا يعلمون أنها كذب.

وصنف جماعة من الأعاجم كتباً في الـوعظ مـلأوها بـالأحاديث المحالة والمعاني الفاسدة. وفي التفاسير من هذا كثير قد ذكر منه أبو إسحاق الثعلبي[2] قطعةً. فإنه ذكر في قصة ذي الكفل حديث الكفل وأنه كان لا يتورع من معصية، والكفل رجل من فساق بني إسرائيل. فأضاف حديثه إلى نبي مُرسل.

وفي التفاسير أن داود تَدَرَّقَ بأوريا قُتِـلَ وتزوج امرأته، وأن يوسف حل تكته فلاح له يعقوب عاضـاً على يده فـانتهى، وأنه جـرى على لسان رسول الله: تلك الغرانيق العلى.

وممـا يـرويـه القصـاص صـلاة تسمى صـلاة الخصمـاء. تُسقِط المظالم. فَيُغْرون بالظلم وأخذ أموالهم. وما أحد إلا وسهل عليه أن يسرق ويصلـــي ركعتين يُسقِط بهما ما فعل.

---

(١) شذرات الذهب: ٢ / ١٠٣.

(٢) شذرات الذهب: ٣/ ٢٣٠.

قال ابن الجوزي: وقد ذكرت من هذا كثيراً في كتاب الموضوعات.

وقدم إلى بغداد أبو الفتح محمد بن محمد الحريمي في سنة تسع وخمس مائة فوعظ فأتى: بمقالات قبيحة. فكان مما قال: تزوج النبي ﷺ امرأة. فرأى بكشحها بياضاً فردها. فهبط جبريل فقال: العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: بنقدة واحدة من العيب ترد عقد النكاح ونحن بعيوب كثيرة لا نفسخ عقد الإيمان مع أمتك. لك نسوة تمسكهن لأجلك، امسك هذه لأجلي. وهذا من أفحش الكذب وأقبح المحال! فإن رسول الله لما رد تلك المرأة لم يُعاتب، ولا جاء جبريل، ولا جرى من هذا شيء. والعجب كيف يجري هذا ببغداد وهي دار العلم؟!

وقدم إلى بغداد أحمد الغزالي[1] فوعظ، ونفق. وكْتِب كلامه فنظرت فيما كُتب عنه وقد كتب على الجزء بخطه: هذا كلامي. فكان فيه من العجائب أنه التقى إبليس بموسى في عقبة الطور فقال: يا إبليس لم لم تسجد لآدم؟ قال: كلا ما كنت لأسجد لبشر. يا موسى! ادعيت التوحيد وأنا موحد. لم ألتفت الى غيره وقلت أنت أرني! فنظرت إلى الجبل. أنا أصدق منك في التوحيد قال: اسجد للغير ماسجدت وأنت التفت. قال الغزالي من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق! قال له موسى: قد غيرت لبستك من الملائكة إلى الشيطنة فقال: ذلك حال يحوي وسيتغير يا موسى! كلما ازداد محبة لغيري ازددت عشقا له. فقال له. تذكره؟ قال: أنا مذكور ذكره ﴿وإنَّ عليك

(١) شذرات الذهب: ٤: ٦٠.

﴿لَعْنَتِي﴾[1] أليس أقام في لعنتي كافاً، وياء؟

وقـال: لما طُـرِد إبليس ما نقص من خـدمته، ولا محبتـه، ولا ذكره، شيء.

ومن كلامه أنه قال: لما قيل لموسى: ﴿لَن تراني﴾[2] قال: هذا شأنك. تصطفي آدم ثم تسود وجهه وتخرجـه من الجنة، وتـدعوني إلى الـطور ثم تشمت بي الأعداء، هـذا فعلك بالأحبـاء، فكيف تصنع بالأعداء؟

قال: وجاء إسرافيل بمفاتيح الكنوز إلى محمد وجبريلُ عنـده، فاصفر وجه جبريـل فقـال محمـد: إن الله منذ خلق الـدنيا مـا نظر إليها. يرسل إلي مفاتيحها؟ ماذا أصنع بها؟ إن كان ولا بد فمفـاتيح نفس صُهيب وأويس! يا إسرافيل! هذه المفاتيح تنقصه شيئاً؟ قـال: لا: فقال: مالا ينقص الواهب ما أريده.

وقال: جاء جبريل ليلة المعراج فقال: يـا محمد: أجب ربـك فما رأى فيه اهتزازاً. فقال: يا محمد: موسى اهتز لسيره الى الطور وأنت ما تهتز للمعراج؟ فقال: أظل عند ربي.

وقد اجتمعت الملائكة لما رفع عيسى قعد وخرق مُرقعته ثلاث مائة خرقة فقالوا: يا ربنا! ما ساوى عيسى قميصاً صحيحاً؟ قال: لا! الدنيا ما سويت أن تكـون له. ففتشـوا جبته، فوجـدوا إبرة. فقال: وعزتي لولا الإبرة لرفعته إلى حظيرة قدسي. وما ارتضيت له السماء الرابعة، إنما حجب بإبرة.

---

(١) آية ٧٨ من سورة ص.

(٢) آية ١٤٣ من سورة الأعراف.

قال ابن الجوزي: قلت: لقد عجبت من مثل هذا المحال البارد - والكذب الشنيع. كيف كان يجري بمدينة السلام وسُكِت عنه؟ ولو ذكر هذا في قرية لأنكر، والعجبُ التعصب لإبليس أنه موحد بقوله: ﴿**وإن عليك لعنتي**﴾ وادعاء أنه كثير العبادة. وقد عُلم أنه لا شغل له إلا الصد عن الخير والأمر بالكفر والمعاصي.

قال ابن الجوزي أنبأنا محمد بن ناصر عن محمد بن طاهر المقدسي قال كان أحمد الغزالي آية من آيات الله في الكذب يتوصل إلى الدنيا بالوعظ.

سمعته يوماً بهمذان يقول: رأيت إبليس في وسط هذا الرباط سَجَدَ لي فقلت: ويحك! إن الله - تعالى - أمره بالسجود لآدم فأبى. فقال: والله لقد سجد لي أكثر من سبعين مرة.

فعلمتُ أنه لا يرجع إلى دين ومعتقد.

وكان يزعم أنه يرى رسول الله ﷺ في يقظته لا في نومه. وكان يذكر في وعظه أنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله فسأله عن ذلك المشكل. قال: وسمعته يوماً يحكي حكاية عن بعض المشايخ. فلما نزل سألته عنها. فقال: أنا وضعتها في الوقت. وله من هذه الجهالات والحماقات ما لا يُحصى.

قال ابن الجوزي وكان عندنا واعظ يُقال له مسعود الدمشقي. فحضرت عنده يوماً في حال صبوتي فسمعته يقول: أول قرشي أسلم العباس. وقال: لما جيءَ رسول الله بصورة عائشة قبل أن يتزوجها كان رسول الله يدخل الدروب والسِكَك ليرى تلك الصورة فلا يرى. وبعث أبو بكر يوماً عائشة إلى رسول الله بطبق فيه رطب ليراها رسول

الله. فيتزوجها، فقال النبي ﷺ: ما أجود هذا الرطب فقالت: هذا من بستان لنا ولكنه متاخم للمنافقين، لتعلمه وتقرر عنده أنهم سيتكلمون في فلما تزوجها وقذفت قال لها: الحقي بأهلك فمضت إلى بيت أبيها، فقال لها: إذا لم يردك الرسول، فاخرجي عني! فقالت: أين أذهب؟ فمضت إلى بيت أمها، فقالت: إذا لم يردك الرسول، فاخرجي عني! فقالت: أين أذهب؟ فقالت: إذهبي إلى بيت خالتك أم مسطح! فذهبت.

قال ابن الجوزي: وما زال يذكر من هذا الفن من الكذب البارد حتى بهت أنا من سماع ذلك.

وقدم أبو الفتوح الإسفراييني(١) فوعظ ببغداد، فروى عن رسول الله أنه قال: «أصبحت ضالاً بين الضُلال وأعمى بين العُميان» فأحضر الديوان وأحضروا الفقهاء فقال ابن سلمان، مدرس النظامية: لو قال هذا الشافعي ما قبلناه فمُنع من الجلوس.

وقدم علينا صهر العبادي فوعظ. وصنف كتاباً فحمله إلي وقد ذكر فيه أن الحسن والحسين دخلا على عمر بن الخطاب وهو مشغول. ثم انتبه لهما فقام فقبلهما ووهب لكل واحد منهما ألفاً. فرجعا، فأخبرا أباهما، فقال: سمعت رسول الله يقول: «عُمَر نورُ الإسلام في الدنيا وسراج أهلِ الجنة في الجنة». فرجعا إلى عمر فحدثاه. فاستدعى دواةً وقرطاسياً وكتب: حدثني سيدا شباب أهل الجنة عن أبيهما،عن رسول الله ﷺ أنه قال كذا وكذا. فأوصى أن

---

(١) شذرات الذهب: ٤/ ٣٠٠.

يجعل في كفنه، ففعل ذلك. فأصبحوا وإذا القرطاس على القبر، وفيه: صدق الحسن والحسين وصَدَق رسولُ الله.

قال ابن الجوزي: إذا كان القصاص من هذا الجنس فكيف لا يذمون؟

قال: وقدم علينا أبو الخير القزويني فوعظ ببغداد. فكان يروي ما يجد من الأحاديث. فإذا سُئِلت عن الحديث المحال الذي يرويه بينته، فعاتبني على هذا. فقلت: هذه أمانة لا يحل لي كتمها.

وهذا فن يطول وأكثر أسبابه أنه قد تعاني بهذه الصناعة جهال بالنقل، يقولون ما وجدوه مكتوباً ولا يعلمون الصدق من الكذب. وفيهم كذابون يضعون الأحاديث على ما سبق ذكره. فهم يبيعون على سوق الوقت واتفق أنهم يخاطبون الجهال من العوام الذين هم في عداد البهائم. فلا ينكرون ما يقولون ويخرجون، فيقولون: قال العالم، فالعالم عند العوام من صعد المنبر.

قال ابن الجوزي أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا الحسن بن محمد الخلال قال: أخبرنا على بن عمر الحريري أن علي بن محمد ابن كاس النخعي حدثهم قال: حدثنا أبو صالح البختري بن محمد قال: حدثنا يعقوب بن شيبة قال: حدثني سليمان بن منصور قال حدثني حجر بن عبد الجبار الحضرمي قال: كان في مسجد قاص يقال له زرعة فأرادت أم أبي حنيفة أن تستفتي في شيء فأفتاها أبو حنيفة، فلم تقبل وقالت: لا أقبل إلا ما يقول زرعة القاص! فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال: هذه أمي، تستفتيك في كذا وكذا. فقال: أنت أعلم مني وأفقه.

فأفتها أنت! فقال أبو حنيفة: قد أفتيتها بكذا وكذا. فقال زرعة: القول كما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت.

قال ابن الجوزي أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري قال: أخبرنا محمد بن مرزوق قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسن بن الحسين النعالي قال: أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني قال: أخبرني الحسن بن علي (قال حدثنا) ابن مهروية قال: حدثني أحمد بن خالد قال: حدثني عثمان الوراق قال: رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك! أما تستحي؟ فقال لي: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهي تراك؟ قال: فقلت: لا. قال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر! فقام فوعظ وقص حتى كثر الزحام عليه. ثم قال لهم: رُوي لنا من غير وجه أن من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار. قال: فما بقي منهم أحد إلا أخرج لسانه يومىء به نحو أرنبته ويقدره هل يبلغها. فلما تفرقوا قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

قال ابن الجوزي أنبأنا أبو القاسم بن السمرقندي قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي الفضل قال حدثنا حمزة بن يوسف قال: أخبرنا أبو أحمد بن عدي قال: سمعت أحمد بن الحسن الكرخي يقول: سمعت إسحاق بن حسين يقول: كان يجالسنا رجل حمال ففقدناه. فلقيته فقلت: يا أبا جعفر! ما لي ليس أراك عندنا؟ قال: حذرنا أبو عبد الله منكم ـ يعني غلام خليل ـ قلت: يا أبا جعفر! النبي ابن من؟ قال: ابنه تبارك وتعالى! قلت: أكثر الله في أصحاب أبي عبد الله مثلك!

قال: وسجد رجل منهم فقال في سجوده: سجد وجهي لماص بظر أمه.

قال الكرخي: وسمعت الحسين الكرابيسي[1] يقول: كان ها هنا ببغداد قاص يُقال له أبو مرحوم الحجام. كان يكون في مسجد ويجتمع الناس إليه. فقال يوماً: سلوني عن التفسير وتفسير التفسير! فقام رجل وراء الدرابزين فقال: يا أبا مرحوم! فقال: طعنة يا ابن الفاعلة! فقال له: رجل دعا لك ثم تقول له مثل هذه المقالة؟ فقال نعم ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحُجُرات أكثرُهُم لا يَعقِلون**﴾[2] قال: ماذا تقول في المزابنة والمحاقلة؟ قال: المحاقلة حلق الثياب عند السمسار، والمزابنة أن تسمي أخاك المسلم زبوناً.

قال الكرابيسي: وأنا قاعد ذات يوم على باب داري مرّ بي شيخ محلوق الرأس واللحية معه زنبيل فيه خيار أصفر. فقلت: يا شيخ! لم حلقت رأسك ولحيتك؟ قال: حكم الكتاب والسنة. قلت له: أيش من حكم الكتاب السنة؟ قال: قال لنا أبو مرحوم: إن هذا الشعر نبت على الضلالة فاحلقوها على الطاعة! قال: فحمل الناس على أن حلقوا لحاهم.

قال ابن الجوزي: وقد كان في القصاص مغفلون. فمنهم سيفويه كان يُضرب به المثل في التغفيل.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا

---

(١) شذرات الذهب: ٢/ ٣٥٠.

(٢) آية ٤ من سورة الحجرات.

أحمد بن محمد العتيقي قال: حدثنا محمد بن العباس بن حيويه قال: حدثنا جَحْظة قال: قيل لسيفويه القاص: قد أدركت الناس، فلم لا تحدث؟ فقال: اكتبوا: حدثنا شريك عن مغيرة عن إبراهيم عن عبد الله مثله سواء! قالوا: له مثل أيش؟ قال كذا سمعنا، وكذا نحدث.

قال ابن الجوزي أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا محمد بن خلف قال: قال سيفويه: ليت أن الله لم يخلقني واني الساعة أعور بعين.

قال ابن الجوزي: وبلغنا عن سيفويه أنه كان راكباً حماراً فمر بمقبرة فنفر حماره عند قبر. فقال: ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطاراً.

وقرأ يوماً(ثم في سلسلة ذرعها سبعون دراعاً فاسلكُوهُ)(١) فقال: هذه خُلِقت لبغا ووصيف. فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف.

وسئل: إن اشتهى أهل الجنة عصيدة كيف تُعمَل؟ فقال: يُبعث لهم أنهار دبس ودقيق وأرز ويقال: اعملوا وكلوا واعذرونا.

قال ابن الجوزي أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي قال: أنبأنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: حدثنا محمد بن خلف قال: قال عمرو بن بحر قال أبو أحمد التمار في قصصه، لقد عظم رسول الله حق الجار حتى قال فيه قولاً أستحي والله أن أذكره.

قال ابن خلف: وأخبرني محمد بن رجاء الصيرفي قال: سمعت

---

(١) آية ٣٢ من سورة الحاقة.

العلاء بن صالح يحدث قال: كان عبد الأعلى بن عمر قاصاً. فقص يوماً، فلما كاد مجلسه ينقضي قال: إن ناساً يزعمون أني لا أقرأ من القرآن شيئاً. وإني لأقرأ منه الكثير بحمد الله! ثم قال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله أحد﴾[1] ثم أرتج عليه. فقال: من أحب أن يشهد خاتمة هذه السورة فليحضرنا في مجلس فلان.

قال ابن الجوزي أنبأنا عبد الوهاب الحافظ قال: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج قال: حدثنا عبد العزيز بن الحسن قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أحمد بن مروان قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال: قال أبو كعب القاص في قصصه يوماً: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا. فقالوا له: فإن يوسف لم يأكله الذئب! قال: فهو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

قال ابن الجوزي: وكثير من القصاص يملؤون المجلس بالأحاديث التي لا أصل لها كصلاة الرغائب وصلاة نصف شعبان. وغير ذلك. ولا يحثون على الفرائض والواجبات. وفيهم من يروي أحاديث التخويف الموضوعة إلى أن يقنط الناس من الرحمة. وفيهم من يروي أحاديث الرجاء المصنوعة أو التي لها معنى كقوله: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة». ولا يبينون أن هذا كان في بداية الإسلام، وأنه لا يكفي القول حتى يعمل بمقتضاه. وفيهم من يورد فضل السنة وأهلها وأن السنّي ناج مغفور له حتى يظن من يتمسك بالسنة أنه لا يضره ذنب.

قال ابن الجوزي: ومن القصاص من يأمر بالزهد في الدنيا ولا

(١) آية ١ من سورة الإخلاص.

يبين المراد. ويُدرج في ذلك أخيراً المتزهدين، ومن خرج من ماله، ومن كان يطوي أياماً ولا ينام الليل ويهرب من الخلق. فيرى العامة ترك عائلته ويهرب إلى السياحة أو ينقطع في المسجد. فإن طلبت المرأة فرضها وحكم الحاكم عليه بذلك، لعن امرأته وتسخط على الحاكم الذي هو نائب الشرع. ولو ان القاص فهم، لأخبرهم أن المذموم فضول الدنيا الشاغلة عن الآخرة، وأن النفقة على الأهل واجبة. ثم أن العوام محتاجون إلى تعريف الفرائض. ومن هو مفرط في الصلاة، مخل بالواجب في الزكاة، متقاعد عن الحج مع الإمكان، وعن قضاء الدين مع الجدة فأين هو والنوافل.

قال ابن الجوزي: ومن القصاص من يذكر في مجلسه ذم الدنيا ويقول: فعلت وفعلت. ويبالغ في الدهر وما يفعل بأهله، كأنه ما سمع أن رسول الله قال: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»، وهذا لأن الزمان لا يفعل، إنما هو ظرف.

ومنهم من يذكر الموت، والفراق، وتخريق البلى. فيجدد مصائب النساء والضعاف القلوب. ويحركهم إلى التسخط بالأقدار. وهذا جمهور ما يقولونه في الأعزية، وهو من المنكرات. وإنما ينبغي أن يؤمر أهل المصائب بالصبر، وهم يحثون على الجزع. قال ابن عقيل: حضرنا في بعض الأعزية عند شيخ قد مات ابنه فقرأ قارىء: ﴿**إن له أبا شيخاً كبيراً**﴾[1] فضجَّ الناس بالبكاء. فقلت: هذه نياحة بالقرآن.

(١) آية ٧٨ من سورة يوسف.

قال ابن الجوزي: ومن القصاص من يورد على أقوام قد سكنت القلوب إلى تعظيمهم ما لا يحسن، فيقتدي بذلك الجاهل، والغلط قد وقع ممن فعله ومن مورده إذا لم يفهم أنه خطأ. قال ابن عقيل: وذلك مثل ما يروى أن أبا يزيد تداعت عليه نفسه فحلف أن لا يشرب الماء سنة. ومثل ما يُنقل أن امرأة نظر إليها رجل، فقالت له: ما الذي أعجبك مني؟ فقال: عيناك. فدخلت بيتها وقلعت عينيها وأنفذتهما إليه في قرطاس.

وإن قوماً قيروا أعينهم حتى لا ينظروا إلى زهرة الدنيا. فيبكي عند سماع هذه الأغمار الجهال بالشرع، ويحسبون ذلك مقاماً من المقامات. ولو فطن الموردون لهذا أنه طعن في العقل والدين لما سردوا هذه القبائح على الجهال ووجه القبح أن الهياكل والأنفس ملك لله سبحانه وودائع عندنا. فلا يجوز لنا أن نضع عقوبة من قبل أنفسنا ولا نستوفيها منا. ويدل عليه أن إقامة الحد على نفس الإنسان بنفسه لا يجزي، وإن فعله أعاده الإمام.

قال ابن الجوزي: ومن القصاص من يمضي أكثر مجلسه في السق والمحبة وإنشاد الغزل الذي يحتوي على وصف المعشوق وجماله، وشكوى ألم الفراق، حتى أني سمعت بعض القصاص ينشد على المنبر:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سِراً فقد أمكن الجهر

قال وسمعته ينشد:

أعانقُها والنفس بعدُ مشوقة
إليها، وهل بعد العناق تداني

وألــثــم فــاهــا كــي تــزول صــبــابــتــي
فــيــزدادُ مــا ألــقــى مــن الــهــيــمــان

ومعلوم أن عامة الحاضرين أجلاف، بواطنهم محشوة بالهوى، ممتلئة بحب. ولا تخلو المجالس من النساء المستحسنات. ومثل هذا يحرك ما في النفوس. فإن كان القاص شاباً مستحسناً، قليل الدين، كان الحديث معه.

قال ابن الجوزي: ومن القصاص من يخرج الكلام في المحبة إلى فن آخر فيحمل صفة الحق - عز وجل - على حديث سُعدى ولبنى، ويشير بهذا إلى ذاك، والعامي لا يفهم المراد. فإن أفلح وفهم تخايل وجود صورة مستحسنة يشتاق إليها. فيطيش، ويصيح، ويمزق ثيابه.

قال ابن عقيل: أخذ بعض الوعاظ الأعاجم يقول: يا موسى من تريد؟ قال: أخي هارون. يا محمد من تريد؟ قال: عمي وأمي. يا نوح من تريد؟ قال: ابني. يا يعقوب من تريد؟ قال: يوسف. ثم قال: كلكم يريد مني؟ أين من يريدني؟ ثم احتد وصك الكرسي صكة وقال: يا قارىء! اقرأ: ﴿**يريدون وجهه**﴾(١) فقرأ القارىء وضج المجلس وصعق قوم، وخُرقت ثياب قوم بشعبذة ذاك. فاعتقد قوم أن ما ذكره لباب الحق وعين العلم. فحكي ذاك المجلس لحنبلي، يعني ابن عقيل نفسه، فأخذه من ذلك ما يأخذ العلماء من الغيرة على الله عز وجل من كلام الجهال به. فاحتد وقال: سبحان

(١) آية ٥٢ من سورة الأنعام.

الله! وما الذي بين الطين والماء، وبين خالق السماء من المناسبة حتى يكون بينه وبين خلقه إرادة له، لا إرادة منه، يا متوهمة الأشكال في النفوس، يا مصوري الباريء بصورة تثبت في القلوب! ما ذاك الله. ذاك صنم شكله الطبع والشيطان، والتوهم للمحال فعبدتموه، ليس لله سبحانه وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه النفوس. بل مباينة الإلهية للحدثية أوجبت في النفوس هيبة وحشمة. إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإنما صور أقوام صورة تجدد لهم بها أنس. فأقلقهم الشوق إليها فنالهم ما ينال الهائم في العشق. وهذه الهواجس الردية يجب محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام.

قال ابن الجوزي: ومن هؤلاء من يتعصب لحسين الحلاج[1] ويدعي أنه كان من أرباب القلوب. والرجل إنما قُتل بفتاوى الفقهاء، وكلامه يدل على الإلحاد، وإنما وجدوا في كلامه ما يلائم ما يؤثرونه من الإشارات الردية. فمالوا إلى ذلك.

قال ابن الجوزي: ومنهم من ينفق مجلسه بذكر موسى والجبل، ويوسف وزليخا، ويخرجون الكلام إلى الإشارات التي تضر ولا تنفع. وفيهم من يتكلم بالهذيان ويتـلاعب بالقرآن حتى أن بعض القصاص سئل: من أي شيء تاب موسى؟ فقال: من مثل فضولك. وقال في قوله: ﴿يا أسفي على يوسف﴾[2] أي كيف علا. وهذا تلاعب بالقرآن.

---

(١) شذرات الذهب: ٢ / ٢٥٣.

(٢) آية ٨٤ من سورة يوسف.

قال ابن الجوزي: وقد أنبأنا محمد بن الحسين المـزرفي قال: حكى لنا أبو محمد التميمي أن أبا الحسين بن السماك الواعظ دخل عليهم يـوماً وهم يتكلمـون في أبا بيـل. فقال: في أي شيء أنتم؟ فقالوا نحن في ألف أبابيل. هل هو ألف وصل أو ألف قطع؟ فقال: لا ألف وصل ولا ألف قطع، وإنما هو ألف سخط ألا ترى أنه بلبـل عليهم عيشهم؟ فضحك القوم من ذلك.

وأما القول الصادر من الحاضرين عند القاص: فمنه استغاثة من يدعي الوجد. وربما صاحت المرأة كصيـاح الحامـل عند الـولادة، وربما رمت إزارها وقامت.

قال ابن الجوزي: أخبرنا ابن ناصر وسعد الخير قالا: أخبرنا ابن البطر قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان العكبري قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن حرب قال: حدثنا جدي عمـر قـال: حـدثنـا أبـو نُعيم قـال: حـدثنـا حُمـران بن عبـد العـزيـز قال: ذكر محمد بن سيرين الذين يصعقون إذا قُرىء عليهم القرآن. فقال: بيننا وبينهم أن يُقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجله ثم يُقْرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى نفسه فهو صادق.

ومن ذلـك القراءة بـالألحان الخـارجة عن الحـد المألـوف وقد جعلوها كالغناء الذي يُوقع عليه وبه. وقد كان السلف ينكـرون رفع الصوت الزائد على العادة فكيف لو سمعوا الألحان؟

قـال ابن الجوزي: أخبـرنا محمـد بن عبد البـاقي البزاز قـال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنـا ابن حيويـه قال: حـدثنا ابن معـروف قال: حدثنا ابن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد قال: حدثنا عفان

قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا عبد الله بن أبي بكر أن زياداً النُميري جاء مع القراء إلى أنس. فقيل له: إقرأ: فرفع صوته، فكشف أنس عن وجهه الخرقة وكان على وجهه خرقة سوداء فقال: ما هذا؟ ما هذا؟ ما هكذا كانوا يفعلون. وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه.

قال ابن الجوزي: أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف قال: أخبرنا محمد بن علي ابن الفتح قال: أخبرنا عمر بن شاهين قال: حدثنا عبد الله بن سليمان قال: حدثنا علي بن خشرم قال: حدثنا عيسى بن يونس عن موسى الجهني عن زاذان عن عابس الغفاري عن النبي ﷺ قال: «يكون نشء يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا بأفضلهم إلا ليغنيهم به غناءً».

وقال ابن شاهين[1] وحدثنا محمد بن زكريا العسكري قال: حدثنا العباس بن عبد الله الترقفي قال: حدثنا الفيض بن إسحاق قال: سألت الفضيل بن عياض عن القراءة بالألحان حتى كأنه حاد أو غناء. فقال: إنما أخذوا هذا من الغناء.

قال ابن الجوزي: أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أخبرنا عمر ابن عبد الله البقال قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: حدثنا عثمان بن أحمد الذقاق قال: حدثنا حنبل قال: حدثنا حماد عن أيوب قال: حدثني بعض آل سالم قال: قدم سلمة البيرق فقام يصلي بهم.

---

(١) شذرات الذهب: ٣/ ١١٧.

فقيل لسالم: لـو جئت فسمعت قراءتـه قال: فجـاء فلما كـان بالباب سمع قراءته. فرجع وقال: غناء! غناء!

قال حنبل: حدثنا سليمان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عمران ابن عبد الله بن طلحة قال: كان رجل يصلي بنا في مسجد المدينة. فطرب ليلة. فقال القاسم بن محمد: **﴿وإنه لكتاب عـزيز لا يـأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه﴾**[1] قال: وكره ذلك.

قرأت على محمد بن ناصر عن أبي القاسم بن البسري عن أبي عبد الله بن بطة قال: حدثنا أبو عبد الله بن مخلد قال: حدثنا محمد ابن المثني قـال: سمعت بشـر بن الحـارث [2] يقـول: سـألت ابن دواد[3]: أمر بالرجل يقرأ، فأجلس إليه قال: يقول: يطرب؟ قلت: نعم. قال: هذا قد أظهر بدعته. لا تجلس إليه.

قال ابن بطة: وحدثنا أبو علي بن الصواف قال: حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل قال: قال لي أبي. كنا عند وهب بن جرير[4] وجاء محمد بن سعيد الترمذي. فسألوه أن يقرأ، فقال: لا أقرأ أو يأمـرني أحمد. قال: فلم أفعل. قال عبد الله: فقلت لمحمد بن سعيد: لِمَ لم تقرأ قال: خفت أن لا تعجبه قراءتي فيكون علي وصمة.

قال عبد الله: وسألت أبي عن القراءة بالألحان. فكرهها، وقال: لا إلا أن يكون طبع قراءة أبي موسى حدراً.

---

(١) آية ٤١ ـ ٤٢ من سورة فصلت.

(٢) شذرات الذهب: ٢/ ٤٠.

(٣) شذرات الذهب: ٢١٩.

(٤) شذرات الذهب: ٢/ ١٦.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أخبرنا عمر بن عبيد الله البقال قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا حنبل قال: كان أبو عبد الله يكره هذه القراءة المحدثة التي يُقال لها الألحان.

قال حنبل: وسمعت سليمان بن [. . .] يقول: هذه القراءة المحدثة التي تسمى الألحان أكرهها. وشدد فيها. وقال: هي عندي تشبه الغناء، القرآن ينزه عن هذا.

قال ابن الجوزي: قلت: واعلم أن قراءة الألحان تكره لوجوه، منها أنهم يدغمون ما لا ينبغي أن يُدغم، ويمدون في غير موضع المد، ويسقطون الهمز والتشديد ليصح اللحن. ثم إنها تطرب وتهيج الطباع، وتلهي عن التدبر للقرآن.

قال ابن عقيل: ومن أصحابنا من حرم الألحان واستماعها. وقد روى عن الشافعي أنه قال: لا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت. وهذا محمول على من يقرأ طريقه يسيراً. فأما ما أحدثوا على مثال الأغاني فكلا، لو سمعه الشافعي لبالغ في إنكاره.

قال ابن الجوزي: وأما المقاصد فجمهور القوم يطلبون الدنيا ويحتالون بالقصص والوعظ عليها. وربما امتنع أحدهم من أخذ العطاء تصنعاً ليُقال: زاهد، ليأخذ أكثر مما رد. وأكثرهم لا يمتنع من أخذ أموال الظلمة. ثم يطلبون وعندهم ما يكفي. وأكثر الناس إنما يعطون من زكاة أموالهم. فكيف يستحل أخذ الزكاة من له ما يغنيه؟

قال ابن الجوزي وقد أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو

بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأزجي: قال: حدثنا عبد الواحد بن محمد بن مسرور قال: حدثنا أبو سعيد بن يونس قال: قدم منصور بن عمار مصر، وجلس يقص على الناس. فسمع كلامه الليث بن سعد[1]، فاستحسن قصصه وفصاحته فذكر أن الليث قال له: يا هذا ما الذي أقدمك إلى بلدنا؟ قال طلبت أن أكسب بها ألف دينار. فقال له الليث: فهي لك على وصن كلامك هذا الحسن، ولا تتبذل. فأقام بمصر في حملة الليث بن سعد وفي جرايته إلى أن خرج عن مصر. فدفع إليه الليث ألف دينار ودفع إليه بنو الليث أيضاً ألف دينار.

قال ابن الجوزي: أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا العباس العاصي يقول: سمعت أبا الحسين السعداني يقول: رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: وقفت بين يديه فقال لي: أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها؟ قلت: قد كان ذلك ولكن ما اتخذت مجلساً إلا وبدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيك وثلثت بالنصيحة لعبادك فقال صدق. ضعوا له كرسياً في سمائي. فيمجدني في سمائي بين ملائكتي كما مجدني في أرضي بين عبادي.

قال ابن الجوزي: وأخبرنا محمد بن ناصر اذناً قال: أنبأنا ثابت ابن بندار عن أبي بكر البرقاني قال: حدثنا سعيد بن عمرو بن عثمان

---

(١) شذرات الذهب: ١/ ٢٨٥.

البردعي قال: شهدت أبا زرعة[1] وأتاه العباس الهسنجاني يكلمه أن يقبل يحي بن معاذ رجل كان بالري يتكلم بكلام يشبه كلام منصور ابن عمار. فقال: إنه يقول: أنا على مذهبك، وأنا رجل نواح أنوح وأنوح. فقال أبو زرعة: إنما النوح لمن يدخل بيته ويغلق بابه وينوح على ذنوبه. فأما من يخرج إلى أصبهان وفارس، ويجول الأمصار في النوح، فأنا لا أقبل هذا منه. هذا من أفعال المسأكلة الذين يطلبون الدراهم والدنانير، ولم يقبله.

قال ابن الجوزي: قلت: ولقد صدق أبو زرعة فإن هذا الرجل كان يجول في البلاد ويأخذ الأموال مع أنه من أصلح القوم.

قال ابن الجوزي: أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: أخبرنا أبو حازم العبدوي قال: سمعت منصور بن عبد الوهاب يقول: قال أبو عمرو محمد بن أحمد الصرام: دخل يحيى بن معاذ الرازي على علوي ببلخ زائراً له ومسلماً عليه. فقال العلوي ليحيى: أيد الله الاستاذ ما تقول فينا، أهل البيت؟ فقال: ما أقول في طين عُجِن بماء الوحي وغُرِس غرساً بماء الرسالة؟ فهل يفوح منها إلا مسك الهدى وعنبر التقى؟ قال: فحشا العلوي فاه بالدر.

قال ابن الجوزي: أنبأنا أبو بكر محمد بن عبدالباقي البزاز قال. أخبرنا أبو العزيز إبراهيم بن محمد بن علي الجوزي قال: سمعت أبا منصور عبد الجبار بن عبد العزيز بن قيس المصري يقول: سمعت أبا علي الحسن بن العباس الكرماني يقول: سمعت أبا زهير عبد الواحد

---

(١) شذرات الذهب: ٢/ ١٤٨.

ابن محمد يقول: جاء إلى شيراز يحيى بن معاذ الرازي وله شيبة حسنة، فلبس دشت ثياب سود، وكان أحسن شيء. فصعد الكرسي فاجتمع إليه الناس. فأول ما بدأ به أنشأ يقول:

مواعِظُ الواعظِ لن تقبلا
حتى يعيها قَلْبُهُ أولا
يا قومُ من أظلم من واعِظٍ
خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه
وبارز الرحمن لما خلا؟

وسقط عن الكرسي وغُشي عليه، ولم يتكلم ذلك اليوم ثم إنه ملك قلوب أهل شيراز بعد ذلك، حتى إذا أراد أن يضحكهم أضحكهم، وإذا أراد أن يبكيهم أبكاهم. وأخذ سبعة آلاف دينار من البلد.

ودخل يحيى بن معاذ الشيرجان فأخذ يتكلم على الناس في علم الأسرار. فأتته امرأة من نسائها فقالت: كم تريد أن تأخذ من هذه البلدة؟ قال: ثلاثين ألفاً أصرفها في دين علي بخراسان. فقالت: لك ذلك عليّ على أن تأخذ وتخرج من ساعتك. فرضي به، وحملته إليه وخرج من غد. فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت، فقالت: لأنه كان يظهر أسرار أولياء الله للسوقة والعامة فغرت على ذلك.

قال ابن الجوزي: قلت: فهذا ومنصور من أصلح القوم وقد سمعت ما حصلا بالوعظ. فكيف برذالة لا يستنكفون عن الطلب من الظلمة.

قال ابن الجوزي: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري قال: حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري قال: حدثنا أحمد بن سلمة قال: حدثنا محمد بن عبدوس السراج قال: قام أبو مرحوم القاص بالبصرة. فقص على الناس فأبكى. فلما فرغ من قصصه قال: من يطعمنا أرزه في الله؟ فقام شاب من المجلس فقال: أنا. فقال: إجلس فقد عرفنا موضعك، ثم قام الثانية ذلك الشاب. فقال: إجلس فقد عرفنا موضعك. فقام الثالثة. فقال أبو مرحوم لأصحابه: قوموا بنا إليه. فقاموا معه فأتوا معه منزله: قال: فأتينا بقدر من باقلاً فأكلناه بلا ملح. ثم قال أبو مرحوم: علي بخوان خماسي وخمسة مكاكي أرز، وخمسة أمناء سمن، وعشرة أمناء سكر، وخمسة أمناء صنوبر، وخمسة أمناء فستق. فجيء بها كلها. فقال أبو مرحوم لأصحابه: يا إخواني! كيف أصبحت الدنيا؟ قالوا: مشرق لونها، مبيضة شمسها. قال: أجروا فيها أنهارها! قال: فأتى بذلك السمن فأجري فيها. ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال: يا اخواني! كيف أصبحت الدنيا؟ قالوا: مشرق لونها، مبيضة شمسها، مجرية أنهارها. فقال: يا إخواني! اغرسوا فيها أشجارها! قال: فأُتي بذلك الفستق والصنوبر فألقي فيها. ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا؟ قالوا: مشرق لونها، مبيضة شمسها، مجرية فيها أنهارها، وقد غُرِس فيها أشجارها، وقد تدلى لنا ثمارها. قال: يا إخواني، أمور الدنيا مالنا والدنيا. اضربوا فيها براحتها قال: فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس.

قال ابن الجوزي: وحدثني جماعة ثقات إن أحمد الغزالي قال في مجلسه بالتاجية أريد ألف دينار. فقاموا فجمعوا، فقال الذي تصدى للجمع وكتابة أسماء الناس قد اجتمع سبع مائة دينار. فقال: والله لا أتكلم إلا بتمام الألف. فرمت امرأة خلخالاً وزنه سبعون ديناراً. فقال الغزالي: أين أخوه؟ فرمت الآخر. فاجتمعت ألف دينار. فأخذها وعبر إلى رباط البسطامي على نهر عيسى فعمل بها دعوة للصوفية. فأكلوا ورقصوا، ومضى وخرج أحمد الغزالي المحول. فمرَّ بناعورة تئن فرمى طيلسانه عليها، فدارت فتمزق قطعاً.

واستدعاه السلطان فتكلم في داره. فأعطاه ألف دينار، فنزل من المجلس بوجدة فركب فرس وزير السلطان وعليها المركب الذهب. فأخذ الفرس بما عليها.

قال ابن الجوزي: وقد ذكرت من أخباره عجائب في التاريخ. ورأينا من رذالتهم من يقول: «عندنا عجوز فقيرة» فيجمع لنفسه بهذه الحجة.

٢٨ ـ قوله في ذكر تعليم القاصّ كيف يقصّ

قال ابن الجوزي: ينبغي لمن أراد أن يعظ الناس ويقص عليهم أن يُحكم العلوم على ما ذكرنا في الباب الثالث.

ثم يريد وجه الله تعالى بوعظه، ويتعفف عن أموال الناس.

وأحب له أن يكون له كسب وقناعة بما يملك. ومتى طمع في أموال الناس لم يؤمن عليه النفاق والرياء. ثم لا يقع وعظه منهم موقعاً.

والأولى له أن يجتنب مخالطة الناس، وأن لا يرى في ساعة وعظه إلا موقراً، فإنه متى خالطهم أو مازحهم ذهبت هيبته من القلوب.

قال علي ـ عليه السلام ـ لا تخلطوا العلم بضحك، فتمجه القلوب.

وقال الشعبي: كنا نضحك ونمرح، فلما صرنا يُقتدى بنا، فما يسعنا التبسم.

قال ابن الجوزي: قلت: وينبغي للواعظ أن يتجافى عن الدنيا، وأن يقنع بالوسط من اللباس، فإن المريض إذا رأى الطبيب يحتمي كان له أنفع من أن يصف له الحمية. وهذا إصلاح للسامعين وليس برياء. فمن فعله أو تخاشع رياء فقد عرض عمله للإحباط.

فصل: قال ابن الجوزي: وأما كيفية وعظه فليعلم أن أصحاب النبي ـ عليه السلام ـ كانوا إذا أرادوا الموعظة أمروا رجلاً أن يقرأ عليهم سورة. ثم صار المتكلم منهم يضم إلى القراءة أحاديث رسول الله، وكلمات من المواعظ كما ذكرنا عن ابن مسعود وأبي الدرداء. وكان التابعون ومن بعدهم يعظون بكلمات حسان كالحسن وغيره. ثم حدث وأدخلوا في الأدوية السموم على ما سبق ذكره.

وسلوك الطريق الأول فيه صعوبة لأجل الفطام عن العادة، وسلوك الطريق المحدثة لا يصلح لما فيها من الآفات والمحن.

وأنا أتخير للوعظ طريقاً لا بأس بها فأقول: أما المنبر فلا بأس بارتقائه، فقد ارتقاه رسول الله ﷺ. وأما الفرش عليه فلا بأس به،

فإنه يوجب نوع احترام النفوس. ألا ترى إلى أهبة الخطيب ودقة المنبر بالسيف، فإنه يزعج النفوس فتتأهب لتلقف الانذار. فأما إلباس المنبر الخرق الملونة فإني أكرهها.

قال ابن الجوزي: فإذا ارتقى المنبر سلم عليهم. ولا بأس أن يقرأ آيات على وجه الترتيل والتحزين، لا على طريق الألحان.

فقد روى أبو بكر الخلال قال: أخبرني إسماعيل بن الفضل قال: سمعت أبا أمية محمد بن إبراهيم قال: سألت أحمد بن حنبل عن القوم يجتمعون ويقرأ لهم القارىء قراءة حزينة. فقال: إن كان يقرأ بقراءة أبي موسى فلا بأس. وقال أحمد في قراءة الألحان: أخذوها من الغناء. لا تسمع منهم.

فإذا فرغ القراء حَمِد الواعظُ الله - عز وجل - وأثنى عليه وعلى رسوله وأصحابه، ودعا للإمام والرعية. فإن كانت له صناعة في إنشاء الخطبة، أو كان يحفظ خطبة فيذكرها، ولا بأس، فإن الكلام المستحسن له وقع في النفوس ولا يُلتفت إلى متزهدٍ جاهل يقول: هذا تصنع فإن التصنع المباح لاستجلاب القلوب لا يُذَم. وقد كان لرسول الله خطيب فصيح يقال له: ثابت بن قيس، وشاعر هو حسان. فإذا جاءه خطيب أو شاعر من قبل المشركين قاوماه.

ولو أن واعظاً قال: الحمد لله واقتصر على هذا في الخطبة، ثم قال: اتقوا الله واقتصر على إعادة هذه الكلمة لم يقع قوله موقع من يأتي بالكلام المستحسن واللفظ الرائع.

ومن تأمل القرآن وما فيه من الكناية والتجوز والاستعارة، عرف موقع الفصاحة من القلوب.

قال ابن الجوزي: وليجتنب السجع في الدعـاء، وقد قـال ابن عباس: اجتنب السجع في الدعاء. وقالت عائشـة لقاص المـدينة: اجتنب السجع من الدعـاء، فإن رسـول الله ﷺ وأصحابـه كانـوا لا يفعلون ذلك.

ووجه هذا أن الدعاء ينبغي أن تبعثه حرقة الطلب. فإذا صدقت شغلت عن التصنع. ومتى وقع لا عن تصنع فلا بأس. فقد قال ـ عليه السلام ـ: «أعوذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشبع».

قال ابن الجوزي: فإذا أنهى الخطبة والدعاء ذكر تفسير الآيات التي قُرِئت ودرج في تفسيرهـا ما يليق بـه من ذكر الـوجوه والنـظائر والأخبار المسندة والحكايات اللائقة بذلك.

قال: ولا بأس أن يرفع صوته ويظهر الجد في تحذيره ووعظه.

قال ابن الجوزي: فقد أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي البزاز قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: حدثنا أحمد ابن معروف قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: حدثنا سعد بن منصور قال: أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن رسـول الله ﷺ كان إذا خطب الناس احمرت عيناه ورفع صوته واشتـد غضبه وكـأنه منذر جيش يقول: صبحكم أو مساكم.

قال ابن الجوزي: أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: حدثنا أحمد بن جعفـر قال: حـدثنا عبـد الله بن أحمد قـال: حدثني أبي قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة عن سماك

ابن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «أنذرتكم النار» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال: حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه.

قال ابن الجوزي: فإذا أنهى الكلام في التفسير أجاب عن مسائل إن سُئل ثم أمر القارىء فقرأ، وتكلم على الآيات بما يليق بها، ويصلح من المواعظ المرققة والزواجر المخوفة. وليدرج في كلامه أخبار الوعد والوعيد، والتشويق إلى الجنة والتحذير من النار. وليأمر بالمحافظة على الصلاة وينهى عن التواني عنها وليحث على الزكاة ويذكر الوعيد لمن فرط فيها، وكذلك الحج والصوم وليبالغ في ذكر بر الوالدين وصلة الرحم، وفعل المعروف، وينهى عن المنكر وأكل الربا، ويعلمهم عقود المعاملات. وليأمر بإمساك اللسان عن فصول الكلام وغض البصر عن الحرام. وليخوف من الزنا، ويذكر الأحاديث الواردة في جميع ما ذكرنا، ويذكر من حكايات الصالحين ما يصلح ذكره. فإنه قد ورد عن أقوام من أهل الخير من الحمل على النفوس في العبادة ما لا يحسن، مثل ما يُروى أن فلاناً عاش ثمانين سنة ما اضطجع.

قال ابن عقيل: مثل القصاص الذين يأخذون العوام بالتخشن في الطريقة ويعدلون عن ذكر الربا والزنا والفواحش كمثل طبيب ينهي المريض عما يؤلم الضرس، ولا يصف له دواء لعلة عظيمة هاجمة على الجسم. فإن الواعظ إذا تشاغل بِحث العوام على الورع والتقلل من المباح وكسر النفس مع علمه بإشاعة الفواحش منهم كان كذلك.

قال ابن الجوزي: وليكن ميله إلى المُخوفات أكثر، فإن الطبيب يقاوم المرض بضده، وقد غلب الطمع على القلوب، وقوي الرجاء وضعف الخوف. ولا بأس أن ينشد الأبيات الزهديات فإن من الشعر حكمة.

قال ابن الجوزي: فإن رأى مدعياً للوجد يصيح، حذره، فإن الحسن البصري رأى رجلاً في مجلسه يبكي فقال: ليسألنك الله ما أردت بهذا؟ وإن رأى متواجداً قد مزق ثوبه أعلمه أن هذا من الشيطان، فإن الحق لا يُفسد.

قال ابن الجوزي: وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال: أخبرنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثني أبو عمرو عثمان ابن أحمد بن السماك قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال: حدثنا عبد المتعالي بن طالب ـ وكان صالحاً ـ قال: حدثنا يوسف ابن عطية عن ثابت البُناني عن أنس قال: وعظ النبي ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعق. فقال النبي ﷺ: «من ذا الملبس علينا ديننا؟ إن كان صادقاً فقد شهر نفسه، وإن كان كاذباً فمحقه الله»!

قال الحاكم: هذا متن لم نكتبه إلا بهذا الاسناد من حديث يوسف بن عطية.

فإن قال قائل: فقد نُقل عن جماعة من الصالحين أنهم سمعوا الواعظ فصعقوا، وعن جماعة أنهم ماتوا.

وقد روى أبو بكر الخلال قال: حدثنا المروزي قال: قلت لأبي عبد الله: سمعت محمد بن سعيد الترمذي يقول: قرأت على يحيى

فسقط حتى ذهب عقله، قال أبو عبد الله: لو قدر أحد أن يدفع هذا لدفعه يحيى في كثرة علمه، فالجواب أنا لا ننكر أن هذا يقع للضعيف القلب فإنه يهجم عليه من التخويف وتصوير العقاب ما يوجب التلف. إلا أن ذلك ينذر. وعلامة الصادق في ذلك أنه لو كان بين يديه نار أو بئر وقع فيها! إذ هو مغلوب، فأما الأقوياء فلا يجري عليهم هذا. وقد صار جمهور ما يجري اليوم تصنعاً. وربما وقعت بداية الوجد صحيحة، فيزيد فيها الشيطان مثل أن يغلبه البكاء ويمكنه في بعضه أن يتماسك فلا يتماسك. وقد كان جواب يرعد عند الذكر، فقال له إبراهيم النخعي: إن كنت تملكه فلا أبالي أن لا أعتد بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من قبلك.

قال ابن الجوزي: وإذا حضر مجلسه نسوة ضرب بينهن وبين الرجال حجاباً، وأشار إلى وعظهن وتخويفهن من تضييع حق الزوج والتفريط في الصلاة ونهاهن عن التبرج والخروج. وذكر ما في ذلك من الأحاديث.

قال ابن الجوزي: ولا ينبغي للواعظ أن يتكلم في الأصول إلا أن يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأخبار الصفات تمر كما جاءت، ومهما خطر على البال من صفات الحق ـ عز وجل ـ أنه كذلك فهو بخلافه لأنه: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1]. وإن أقواماً قل علمهم بالتفسير والحديث والمواعظ، فزوقوا مجالسهم بما يوجب العصبية من ذكر الصوت والحرف والتلاوة والمتلو والاستواء والنزول ومعلوم أن العلماء يعجزون عن تحقيق الأمر في هذه الأشياء، فكيف

(١) آية ١١ من سورة الشورى.

بالعامي الجاهل الذي لا يفيده ما يقال في هذا إلا الخصومات وفساد الاعتقاد.

قال ابن الجوزي: وكذلك ينبغي أن يترحم على الصحابة، ويأمر بالكف عما شجر بينهم، ويورد الأحاديث في فضائلهم. ويلفت السائل إلى ما يلزمه من الفروض والواجبات.

قال ابن الجوزي: فإن وعظ سلطاناً تلطف غاية ما يمكن. ولم يواجهه بالخطاب، فإن الملوك إنما اعتزلوا الناس ليبقى جاههم. فإذا ووجهوا بالخطاب رأوا ذلك نقصاً. فليذكر الوعظ عاماً ليأخذ السلطان منه نصيباً، وقد كان في السلاطين من يُواجه بالانكار فيصبر. وليس ذلك يحرم في الرأي، بل التلطف أولى. قال عز وجل: **﴿فقولا له قولاً ليناً﴾**(٢).

فإن قيل: فما تقول في قوله عليه السلام: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»؟ فالجواب أنه إذا كان الجائر لا يقبل الحق جاز أن يورى عن الحق خوافاً على النفس. والأفضل أن يبرأه بالحق. ومتى أمكن التلطف فلا وجه للعنف.

وكان ابن عقيل يقول: ما أستحسن إقدام الحسن على الحجاج مع علمه بجرأة الحجاج على السيف.

قال: ولا ينبغي للواعظ أن يطيل المجلس. فقد قال أحمد بن حنبل: لا أحب للقاص أن يمل الناس. فلا يطيل الموعظة إذا وعظ.

قال ابن الجوزي: وأخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا أبو سهل

---

(٢) آية ٤٤ من سورة طه.

محمد بن إبراهيم قال: أخبرنا أبو الفضل القرشي قال: أخبرنا أبو بكر بن مردويه قال: حدثنا عبد الله بن الحسن قال: حدثنا عبيد الله ابن سليمان قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر قال: سمعت الزهري يقول: المجلس إذا طال كان للشيطان فيه نصيب.

قال ابن الجوزي: وليقتصر على مجلس واحد في الأسبوع فإن رأى الهمم متشوقة إلى الزيادة جعلها مجلسين ولا يزيد على هذا.

قال ابن الجوزي: ومتى كان الواعظ عالماً بتفسير القرآن، والحديث، وسير السلف والفقه، عرف الجادة ولم يخف عليه بدعة من سنة، ودله علمه على حسن القصد وصحة النية، ومتى كان قاصر العلم طالباً للدنيا لم ينفع غيره فضر نفسه.

قال ابن الجوزي: ولا ينبغي أن يحتقر أمر الواعظ فإنه إذا كان كامل العلم، صادق القصد عم نفعه، واجتلب إلى باب الله - سبحانه - عدداً زائداً على الحد ما لا يقدر على اجتلاب عُشر عشيرة فقيه، ولا محدث، ولا قارىء، لأن خطابه بالوعظ للعام والخاص وخصوصاً العوام الذين لا يلقون فقيهاً إلا في كل مدة، فيسألونه عن كلمة. وهذا الواعظ كالرائض لهم يثقفهم ويقومهم ويؤدبهم فلا يلتفت إلى من أطلق ذم الواعظ. وإنما وقع الذم للأسباب التي تقدم ذكرها.

فأما الدعاء إلى الله تعالى فمحمود ممدوح، ولا وجه لذمه.

قال ابن الجوزي: أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال:

حدثني أبي قال: حدثنا قتيبة قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: حدثني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم». أخرجاه في الصحيحين.

قال أحمد: وحدثنا سليمان بن داود قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: أخبرنا العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». انفرد بإخراجه مسلم.

قال ابن الجوزي: وإني ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة، وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف. وقد جمعت في آلات الوعظ كتباً لم أسبق إلى مثلها من تفاسير القرآن المهذبة من الزلل، السليمة من الأحاديث المصنوعة منها كتاب «زاد المسير في علم التفسير» وأكبر منه «المغنى» وكتاب متوسط سميته «بإيضاح البيان في تفسير القرآن»، وكتاب «ناسخ القرآن ومنسوخه»، و«مختصره»، وكتاب «ناسخ الحديث ومنسوخه»، و«مختصره»، وكتاب «جامع المسانيد» جمعت فيه مسند أحمد، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكتاب الترمذي، وهذه الكتب الأربعة تكون قريباً من ثلاثين مجلداً ـ فاختصرتها في خمس مجلدات مع ذكر الأسانيد وكتاب

«الحدائق» غاية للواعظ، ومختصره «نقي النقل»، و«المديح» وكتاب «صفة الصفوة» تشتمل على ذكر الزهاد والصالحين من زمن نبينا ﷺ إلى الآن، وكتاب «منهاج القاصدين» في شرح المعاملات.

قال ابن الجوزي: وصنفت كتباً في أخبار الأخيار، فمنها كتاب «فضائل عمر بن الخطاب» وكتاب «فضائل (عمر) بن عبد العزيز»، و«الحسن»، و«الفُضيل»، و«أحمد بن حنبل»، و«معروف»، و«بشر»، و«إبراهيم بن أدهم»، وغيرهم من الصالحين، وكتاب «عيون الحكايات» فيه خمس مائة حكاية مسندة.

أما كتب الوعظ فكثيرة يطول تعدادها، منها «تبصرة المبتدىء»، و«كنز المذكر»، و«اللؤلؤ»، و«الملح»، و«المدهش»، و«الملهب»، و«صبا نجد»، و«نسيم الرياض»، و«المنتخب»، وغيرها.

وبعض هذه الكتب تغني الواعظ وتكفيه طول عمره. ولا يحتاج معه إلى زخارف قد ألفها الأعاجم أكثرها كذب وهذيان.

قال ابن الجوزي: وإذا رُزق الواعظ قريحة وفطنة، وتشاغل بحفظ هذه الكتب التي سميتها رُزق إنشاء ما يجانسها، وصار يقول ما يماثلها بديهة. ولكن أكثر اعتماده على الأحاديث والمنقولات من أخبار الصالحين. فإني ـ بحمد الله ـ لما كان أكثر اشتغالي بها وبعلوم الحديث لم يكد يذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول صحيح أو حسن أو محال، ولي في كتبي الوعظية ـ بحمد الله ـ أعمال عجز عنها من تقدم. وإنما أحدث بهذه النعم شكراً، لا عجباً لأنه إنما يعجب من يرى عمله. وأنا إنما أرى فضل المنعم وقلة شكري. ولقد أقدرني على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ. وربما

قُرِئت عندي في المجلس خمس عشرة آية فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال. وأنا أسأل الله ـ عز وجل ـ إخلاصاً في القصد، ونفعاً بالعلم، وإنه ولي ذلك والقادر عليه.

٢٩ ــ قوله في: العقل مدار التكليف:

قال ابن الجوزي أعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه وأعمل فكرك، واخل بنفسك، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك وأن أنفاس الحيِّ خطاهُ إلى أجله، ومقدارَ اللبث في الدنيا قليلُ، والحبس في القبور طويلُ، والعذابُ على موافقة الهوى وبيلُ، فأين لذة أمس؟ قد رحلت وأبقت ندما! وأين شهوة النفس؟ نكست رأساً وأزلت قدما، وما سعد من سعد إلا بخلاف هواه، ولا شقي من شقي إلا بإيثار دنياه، فاعتبر بمن مضى من الملوك واالزهاد، أين لذة هؤلاء وأين تعب أولئك؟ بقي الذكرُ والجميلُ للصالحينَ، والمقالةُ القبيحه في العاصين، فكأنه ما شبعَ من شبع ولا جاع من جاع، والكسل عن الفضائل بئس الرفيق، وحب الراحة يورث الندم ما يربو على كل لذة فانتبه لنفسك: واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم، فمتى تعدى فالنار.

٣٠ ــ قوله في: الفضيلة في رأي المؤلف:

ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين، ثم الفضائل تتفاوت فمن الناس من يرى الفضائل الزهد في الدنيا، ومنهم من

يراها التشاغل بالتعبد، وعلى الحقيقة فليس الفضائل الكاملة إلا الجمعَ بين العلم والعمل، فإذا حصلا دفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه، وحركاه إلى محبته والشوق إليه، فتلك الغاية القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كل مريد مراداً ولا كل طالب واجداً، ولكن على العبد الاجتهاد (وكل ميسر لما خلق له)[1].

٣١ ـ قوله في: الإيمان بالله ورسوله :

وأول ما ينبغي النظر فيه: معرفة الله تعالى بالدليل ومعلوم أن من رأى السماء مرفوعة والأرض موضوعة، وشاهد الأبنية المحكمة خصوصاً جسد نفسه، علم أنه لا بد حينئذ للصنعة من صانع، وللمبنى من بان. ثم بتأمل دليل صدق الرسول ﷺ إليه، وأكبر الدلائل القرآن الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة مثله.

٣٢ ـ قوله في: الحفظ يبدأ منذ الصغر

ومتى اعتدل المزاج، وتكامل العقل، أوجب ذلك يقظة الصبي من حال صغره، فتراه يطلب معالي الأمور، فإن طلب رفعة الدنيا دل على قصور فهمه، لأن من استحضر عقله، دله على خالق وجبت

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو دواد وأحمد بن حنبل عن عمران بن حصين والترمذي عن عمر والإمام أحمد بن حنبل عن أبي بكر. الجامع الصغير ص ٢٣٩. وابن الربيع الشيباني: تمييز الطيب من الخبيث ١٢١.

عليه طاعته وامتثال أوامره، فطلب التقرب إليه، وعلم أنه لا يقرب إلا بالعلم والعمل، فجد في تحصيل ذلك من غير آمر، ولا محرض فتراه يطلب الغاية في العلم ثم يخرج به الأمر إلى الزهد في الفاني، وتحصيل كل ما يمكن من الفضائل، ثم يترقى إلى محبة الحق سبحانه، ومن كمل وفق، وقال الله تعالى: ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل، وكنا به عالمين**﴾[1].

فهذه صفة الغاية، وذلك لا يحتاج إلى محرض لأن همته تمشي به، وهو قاعد، ثم يتفاوت الصبيان بعد ذلك: فمنهم من يحتاج إلى محرض وهم الأكثر، ومنهم من تنبهه بأيسر تنبيه، ومنهم من يتعب معه الرائض، وجبلته لا تقبل الرياضة.

٣٣ ــ قوله في: تربية الصبي على الحفظ

ومتى اعتدل المزاج وتكامل العقل، أوجب ذلك يقظة الصبي، فمن رزق ولداً، فليجتهد معه، والتوفيق من وراء ذلك، فينبغي له أن يعوده النظافة والطهارة من الصغر، ويثقفه بالآداب فإذا بلغ خمس سنين أخذه بحفظ العلم، وسنبين فيما بعد ترتيب المحفوظات، فإن الحفظ في الصغر نقش في حجر، ومتى بلغ الصبي ولم يكن له همة تحثه على اكتساب العلم بعد فلا فلاح له.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٥١.

٣٤ ـ قوله في الأدوية المعينة على الحفظ

اعلم أن نسيان المحفوظ من أمراض الدماغ، وذلك يكون غالباً من سوء مزاج بارد رطب، يرطب الدماغ، وذلك يكون من كل ما يولد خلطاً بلغمياً وفيه تبخير، ويتولد كثيراً من أكل البصل والتخم، وكثرة أكل الفواكه. وسبب فساد الذكر البرد فإن كان من رطوبة فصاحبه لا يحفظ ما يطبع فيه، وإن كان من يبوسة فإنه لا يحفظ الأمور الماضية دون الحادثة، وان كان من يبس مع حركان مع اختلاط الذهن وأكثر ما يعرض النسيان عن برد ورطوبة. وقد يكون عن يبس مفرط، يخفف الدماغ، يجعله كالصخرة التي لا تقبل أن ينطبع فيها شيء، وقد قال بعض الحكماء: يقول إبليس: ما لقيت من أصحاب النعم ينسون المعبود.

وقد يورث النسيان أشياء كثيرة لخاصتها مثل الحجامة في النقرة[1]، وأكل الكريزة [2] الرطبة والتفاح الحامض، والمشي بين جملين مقطورين، وكثرة الهم وقراءة ألواح القبور، والنظر في الماء الدائم والبول فيه، والنظر إلى المصلوب ونبذ القمل، وأكل سؤر

---

(١) قارن الطب النبوي للإمام الذهبي على هامش تسهيل المنافع لابن الأزرق ص ٣٦ يقول الذهبي، والحجامة على السرة تورث النسيان، وانظر الطب النبوي لابن القيم تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر ص ٣٨٧ يذكر: مما يحدث النسيان: كحجامة نقرة القفا.

الحجامة: جرح يحدث لاخراج الدم الفاسد.

النقرة: شدة الحر.

(٢) الكريزة: نوع من أنواع الفواكة كالعنب.

الفأر[١]. قال الزهري: التفاح يورث النسيان.

٣٥- قوله في ذكر مطاعم تستعمل للحفظ

قال علي رضي الله عنه: عليكم بالرمان الحلو فإنه صلوح المعدة[٢]، وشكا إليه رجل النسيان فقال: عليك (باللبان) فإنه يشجع القلب ويذهب النسيان[٣].

وقال ابن عباس: حلق القفا يزيد في الحفظ.

وقال أيضاً: خذ مثقالاً من كندر[٤] ومثقالاً من سكر فدقهما جيداً ثم اقمحهما على الريق فإنه (جيد) للنسيان[٥].

وقال الزهري: عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ.

وقال أيضاً: من سره أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب.

---

(١) ورد النص في تسهيل المنافع ٨٨ والطب النبوي للذهبي هامش ٨٤، والطب النبوي لابن القيم ٣٨٧ مع اختلاف طفيف.

(٢) قارن الطب النبوي للإمام الذهبي ص ٦١ يذكر رواية عن علي: من أكل رمانة نور الله قلبه.

(٣) الطب النبوي لابن القيم ٣٨٧.

(٤) الكندر: اللبان.

تسهيل المنافع لابن الأزرق ص ٨٨ وأشار أنه نقله من كتاب اللقط في الطب لابن الجوزي.

وقال الجعابي[1]: كنت بليد الحفظ فقال لي الأطباء: كل الخبز بالحلاب[2]، فأكلته أربعين يوماً بالغدايات والعشايات لا آكل غيره، فصفى ذهني، وصرت حافظاً حتى صرت أحفظ في يوم ثلثمائة حديث.

ومما وصفه المطببون للحفظ: وج وعود واهليج من كل واحد عشرة دراهم وقد نقول في حق من يوثق برطوباته ويردها خمسة دراهم زنجبيل ومصطكا خمسة دراهم ثلثه يدق ويعجن برطل عسل.

صفة أخرى:

فلفل أبيض، وزعفران،ومراجرا سواء يعجن، ويتناول كل يوم درهم.

صفة أخرى:

ثلاثون درهماً كندر، وعشرة فلفل: يدقان، ويقمح كل يوم منها مثقال، أربعين يوماً.

٣٦ ـ قوله في بيان طريق أحكام المحفوظ

الطريق في أحكامه كثرة لا عادة، والناس يتفاوتون في ذلك:

---

(١) الجعابي: هو محمد بن سلم، ويكنى ابا بكر الجعابي، من كبار حفاظ الحديث، واشتغل بقضاء الموصل، وهو من أهل بغداد، وله مذهب خاص في التشيع توفي سنة ٣٥٥ هـ، انظر في ترجمته: تاريخ بغداد ٣: ٢٦ ولسان الميزان ٥: ٣٢٢.

(٢) الخبز بالحلاب: أي فتة اللبن البقري أو لبن الضأن.

فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار.

ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير. فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ، ليثبت معه المحفوظ. وقد قال النبي ﷺ: «تعاهدوا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقلها»(١).

وكان أبو إسحاق الشيرازي(٢): يعيد الدرس مائة مرة. وكان الكيا(٣). يعيد سبعين مرة. وقال لنا الحسن بن أبي بكر النيسابوري

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن مسعود، المسند تحقيق الشيخ أحمد شاكر حديث رقم ٣٦٢٠، ٤٠٢٠، وقال إسناده صحيح، ورواه مسلم ١: ٢١٩، والبخاري ٨: ٧٠، ٧١ والتفصي: الانفصال، والنعم: الابل خاصة. وانظر الفيض القدير للمناوي ٣: ٢٤٩.

(٢) هو إبراهيم بن علي بن يوسف، وكنيته أبو إسحاق، ويلقب بجمال الدين ولد في ٣٩٣ هـ، وتوفي ٤٧٦ هـ، ومن آثاره العملية: التنبيه والمهذب في الفقه، والتبصرة، واللمع في أصول الفقه، وفي التراجم طبقات القراء، أنظر في ترجمته طبقات الشافعية الكبرى ٤: ٢١٥ ـ ٢٥٧.

(٣) الكيا: كلمة فارسية بمعنى الكبير القدر المقدم بين الناس. والكيا العمراسي: وهو علي بن محمد بن علي، وكنيته أبو الحسن، الملقب بعماد الدين، ولد في سنة ٤٥٠ هـ، وتفقه على إمام الحرمين، وهو من أجلّ تلاميذه بعد الغزالي ومن مصنفاته: شفاء المسترشدين في مباحث المجتهدين، وهو من أجود كتب الخلافيات، وكتاب في أصول الفقه أنظر مصادر ترجمته:

طبقات الشافعية الكبرى ٧: ٢٣١ ـ ٢٣٤، والبداية والنهاية ١٢: ١٧٢، وشذرات الذهب ٤: ٨، والمنتظم ٩: ١٦٧، والنجوم الزاهرة ٥: ٢٠١، وفيات الأعيان ٢: ٤٤٨، والعبر ٤: ٨.

الفقيه: لا يحصل الحفظ إلّا حتى يعاد خمسين مرة. وحكى لنا الحسن: أن فقيهاً أعاد الدرس في بيته مراراً كثيرة، فقالت له عجوز في بيته قد والله حفظته أنا. فقال: أعيديه فأعادته فلما كان بعد أيام. قال: يا عجوز، أعيدي ذلك الدرس فقالت: ما أحفظه. قال: ان أكرر عد الحفظ لئلا يصيبني ما أصابك.

٣٧ ـ قوله في ذكر الأوقات التي يكرر فيها المحفوظات

ينبغي لمن يريد الحفظ أن يتشاغل به في وقت جمع الهم ومتى رأى نفسه مشغول القلب ترك التحفظ، ويحفظ قدر ما يمكن فان القليل يثبت والكثير لا يحصل. وقد مدح الحفظ في السحر لموضع جمع الهم، وفي البكر، وعند نصف الليل، ولا ينبغي أن يحفظ على شاطىء نهر ولا يحضره خضر لئلا يشتغل القلب(١) والأناظر العالية أحمد من السافلة. وينبغي أن يريح نفسه من الحفظ يوماً أو يومين ليكون ذلك كالبناء الذي يراح ليستقر(٢).

٣٨ ـ قوله في الاعلام بما ينبغي تقديمه من المحفوظات

أول ما ينبغي تقديمه مقدمة في الاعتقاد تشتمل على الدليل على

---

(١) صيد الخاطر ص ١٧٨.

(٢) قارن تسهيل المنافع ٨٨ يقول ابن الأزرق نقلاً عن ابن الجوزي: «ليروح عن نفسه يوماً أو يومين في الأسبوع من حفظ الحديث ويكرر الماضي ليثبت كما أنه يترك حتى يستقر ثم يبني عليه».

معرفة الله سبحانه، ويذكر فيها ما لا بد منه، ثم يصرف الواجبات ثم حفظ القرآن ثم سماع الحديث.

ولا بد من حفظ مقدمة في النحو يقوم بها اللسان. والفقه عمدة العلوم، وجمع العلوم ممدوح إلا أن أقواماً أذهبوا الأعمار في حفظ النحو واللغة، وإنما يعرف بها غريب القرآن والحديث وما يفضل عن ذلك ليس بمذموم غير أن غيره أهم منه. وأن أقواماً أذهبوا أزمانهم في علوم القرآن فاشتغلوا بما غيره أصلح منه من الشواذ المهجورة، والعمر أنفس من تضييعه في هذا. وإن أقواما أذهبوا أعمارهم في حفظ طرق الحديث ولعمري أن ذلك حسن إلا أن تقديم غير ذلك أهم. فنرى أكثر هؤلاء المذكورين لا يعرفون الفقه الذي هو الزم من ذلك، ومتى أمعن طالب الحديث في السماع والكتابة ذهب زمان الحفظ، وإذا علت السن لم يقدر على الحفظ المهم، وإذا أردت أن تعرف شرف الفقه فانظر الى مرتبة الأصمعي في اللغة، وسيبويه في النحو، وابن معين في معرفةالرجال، كم بين ذلك ومرتبة أحمد والشافعي في الفقه. ثم لو حضر شيخ مسن له إسناد لايعرفشيئاً من الفقه بين يديه شاب متفقه فجاءت مسألة: سكت الشيخ، وتكلم الشاب، وهذا يكفي في فضل الفقه. ولقد تشاغل خلق كثير من أصحاب الحديث بعلوم الحديث، وأعرضوا عن الفقه، فلما سألوا عن مسألة في الأحكام افتضحوا.

قال ابن الجوزي: أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا الخطيب قال سمعت البرقاني يقول: قال أبو بكر الأبهري الفقيه كنت عند يحيى بن صاعد فجاءته امرأة فقالت: أيها الشيخ ما تقول في بئر سقطت

فيها دجاجة فماتت. هل الماء طاهر أم نجس. فقال يحيى: ويحك كيف سقطت الدجاجة في البئر؟ قالت: لم تكن مغطاة، فقال: ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شيء.

قال الأبهري: قلت يا هذا إن كان الماء تغير وإلا فهو طاهر.

وقال إبراهيم الحربي: بلغني أن امرأة جاءت إلي علي بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس، فقالت بصدقة إزاري فقال: بكم اشتريته. قالت: باثنين وعشرين درهماً. فلما مرت قال: آه، آه أمرناها بكفارة الظهار، ولو اتسع العمر لأمرتك باستقصاء كل علم إذا الكل ممدوح، فلما قصر العمر وجب تقديم المهم والأفضل.

٣٩ ــ قوله في تقويم اللسان

سنقتصر في هذه الدراسة على المسائل التي نعدها كافية لإلقاء ضوء على الكتاب، وهي:

سبب تأليف كتاب تقويم اللسان:

يفهم من كلام ابن الجوزي أنه ألف كتابه هذا لأنه:

١ ــ رأى كثيراً من المنتسبين إلى العلم يتكلموم بكلام العوام المرذول جرياً على العادة.

وتدل العبارة الأخيرة على أن الجميع كانوا يتكلمون في لهجات خطابهم العبادية لهجة واحدة، لا فرق بين خاصتهم وعامتهم.

٢ ــ رأى بيان الصواب اللغوي فيما يخطئون فيه متناثراً في

الكتب اللغوية وجمعه يثقل على المتكاسل.

٣ ــ رأى الذين ألفوا فيما تلحن فيه العوام لم يحققوا الفرض المنشود من هذا التأليف «فمنهم من قصر، ومنهم من ذكر ما لا يكاد يستعمل ومنهم من ردما لا يصلح رده» فقام ابن الجوزي بانتخاب ما قدر صلاحه من مادة هذه الكتب، وكان لا يزال شائعاً في عصره، مع رفض الغلط الذي لا يخفي وجه الصواب فيه إذ لا داعي لذكره.

منهجه في الترتيب:

رتب ابن الجوزي كتابه على حروف الهجاء، فجعل لكل حرف باباً، ووضع الكلمات في الأبواب على أساس الحرف الصحيح لا الخطأ، فكلمة الإهليلجة تطلب من باب الألف، لا من باب الهاء، وكما ينطقونها أي: «هليلجة».

وهو في ترتيبه الهجائي يختلف عن أصحاب المعجمات إذ يعتبر الحروف الأصلية والمزيدة معاً، دون نظر إلى الأصل الإشتقاقي، فكلمة «استهتر» لا تطلب من «هتر»، بل تطلب من «باب الألف» فالترتيب حسب الحرف الأول من الكلمة الصحيحة دون نظر إلى الأصل والمزيد.

والكلمات لم ترتب داخل الأبواب كالنظام المعجمي، بل وضع في كل باب جميع الكلمات المبدوءة بالحرف الذي عقد له هذا الباب، دون ترتيب، فمادة الألف مثلاً يسير ترتيبها هكذا: استهتر ـ أهل لكذا ـ أعرابي ـ أسكت ـ اشتكى عينه ـ أدلج وأولج ـ أشلت الشيء ـ أعلمت على الشيء ـ أضج القوم ـ آكلت فلاناً ـ وهكذا دون

مراعاة الترتيب داخل الباب.

وقد وضع ابن الجوزي، في مقدمته، المنهج الذي اتبعه في الترتيب، وإن لم يشمل كل التفصيلات التي ذكرناها. فقد قسم الغلط أنواعاً ليبين أنه كان قد اعتزم أن يجعل لكل منها باباً، لولا أنه آثر الترتيب الهجائي، والأنواع التي ذكرها في هذه المقدمة هي: ضم المكسور، وكسر المضموم، وقصر الممدود، وتشديد المخفف، وتخفيف المشدد، والزيادة في الكلمة، والنقص منها ووضعها في غير موضعها، إلى غير ذلك. ثم قال: «وكنت عزمت على أن أجعل لكل شيء من هذا باباً ثم إني رأيت أن أنظم الكل في سلك واحد، وآتي به على حروف المعجم. وأعول في ذكر الحرف على الصحيح فيه لا على الخطأ، فذلك أسهل لطلب الكلمة» وقد اضطر إلى ذلك الكلمة مرتين، إذا كانت تستعمل في عبارة فيها أكثر من خطأ، كقولهم: شممت رائحة كذا. فوضعها في شم، وصحح الكلمتين. ثم كررها في باب الراء.

المقياس الصوابي في الكتاب:

وضع ابن الجوزي الأساس الذي بنى عليه الحكم بالصواب والخطأ بقوله: «وإن وجد لشيء مما نهيت عنه وجه، فهو بعيد أو كان لغة فهي مهجورة.

---

(١) أي على لهجة من يلزم المثنى الألف في جميع حالات الاعراب.

(٢) يريد أن، وهي اللهجة المعروفة بعنعنة تميم.

وقد قال الفراء: وكثير مما أنهاك عنه قد سمعته، ولو تجوزت رخصت لك أن تقول: رأيت رجلان[1]، ولقلت: أردت عن تقول ذلك[2].

وقد سار ابن الجوزي في هذا على منهج أستاذه أبي منصور الجواليقي الذي قال في مقدمة التكملة: «واعتمدت الفصيح دون غيره فإن ورد شيء مما منعته في بعض النوادر فمطرح لقلته ورداءته. ووضعنا ما يتكلم به أهل الحجاز وما يختار فصحاء الأمصار، فلا تلتفت إلى من قال: يجوز، فإنا قد سمعناه، قال الغراء: واعلم أن كثيراً مما نهيتك عن الكلام به من شاذ اللغات ومستكره الكلام لو توسعت لك بإجازته رخصت. .الخ. النص السابق الذي نقله ابن الجوزي فمنهجهما واحد وكثير من الكلمات الواردة في «تقويم اللسان» وردت قبله من «تكملة الجواليقي. . ومنها قدر غير قليل أورده الحريري من قبل في «درة الغواص» وهو قد سلك هذا المسلك المتشدد، ومنها آراء في التخطئة منقولة عن ابن قتيبة والأصمعي، وقد عرف عنهما هذا التشدد. ومثلهما الغراء الذي نقلنا عنه النص السابق الذي يبين مقياسه الصوابي. وثعلب الذي يختار الأفصح.

ولكن نزيد هذا المقياس إيضاحاً نورد مثالين من تصويبة ونتتبع ما قيل فيهما:

قال ابن الجوزي في باب الميم: «وتقول عصا معوجة بتسكين العين. والعامة تفتحها وتشرد الواو».

---

(١) التلويح: ١٤٤.

وقد جرى ابن الجوزي في ذلك على ما ذكره ثعلب في «الفصيح»[1] كما أنكره الأصمعي من قبل.

وقد رأينا لغوياً آخر يجيز (معوجة) على ما تقول العامة. هذا اللغوي هو ابن مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ) الذي يقول في (باب ما تنكره الخاصة على العامة وليس بمنكر) من كتابه «تثقيف اللسان» وكذلك قولهم معوج. وهو مما ينكر عليهم، وقد أنكره الأصمعي. وهو جائز، يقال: معوج باتفاق، وقيل معوج بكسر الميم ومعوج أجازه أكثر العلماء، وأنشدوا قول الشماخ بن ضرار:

إذا عيج منها بالجديل أتت له
جراناً كخوط الخيزران المعوج

وقال الآخر (محمد بن حازم الباهلي)

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم
ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمي فإني مقوم
ومن رام تعويجي فإني معوج

والمثال الثاني:

قال في (باب الحاء): «وتقول لي حاجات والعامة تقول حوائج». وهذا التصويب مروي عن الأصمعي، إذ كان ينكر حوائج ويقول: هو مولد وتبعه أبو هلال العسكري فقال: «وليس مما تعرفه العرب، ولا يوجبه القياس، وإنما تجمع العرب الحاجة فتقول: حاج وحاجات وحوج». كما أنكر الحوائج أيضاً القاسم الحريري في «درة الغواص».

وأنكرها ابن الجوزي تبعاً لهؤلاء. هذا رأي في الحوائج. وهناك رأي آخر يجيزها، مدعوم بالشواهد على صحة هذا الجمع:

أولاً ــ حكى السجستاني عن عبد الرحمن (ابن أخي الأصمعي) عن الأصمعي أنه رجع عن إنكار حوائج فقال: «وإنما هو شيء كان عرض له من غير بحث ولا نظر». والسبب في أن الأصمعي جعلها مولدة أن هذا الجمع خارج عن القياس لأن ما كان على مثل الحاجة كالغارة والحارة لا يجمع على غوائد وحوائر.

ثانياً ــ روى عن ابن عمر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون يوم القيامة» وروى عنه ـ ﷺ ـ أيضاً: «استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها».

ومن الشواهد من أشعار الفصحاء: قال أبو سلمة المحاربي:

تممت حوائجي ووفأت بشرا
فبئس معرس الركب السغاب

وقال الشماخ:

تقطع بيننا الحاجات إلا
حوائج يعتسفن مع الجريء

وقال الأعشى (ميمون):

الناس حول قبابه
أهل الحوائج والمسائل

وقال الفرزدق:

ولي ببلاد السند عند أميرها
حوائج جمات وعند ثوابها

هذان المثالان ـ وغيرهما كثير ـ يبينان لنا الموقف المتشدد الذي وقفه ابن الجوزي في الكلمات التي انتخبها من كتب اللحن السابقة على كتابه.

موضوع الكتاب بين العامة والخاصة:

يذكر ابن الجوزي في مطلع مقدمته أنه رأى «كثيراً من المنتسبين إلى العلم يتكلمون بكلام العوام المرذول، جرياً منهم على العادة».

وفي هذا دلالة على أن الأخطاء اللغوية التي تشيع من لهجات الخطاب قد انتقلت إلى الخاصة، الذين أصبحوا يشاركون العامة في هذه اللهجات المنحرفة عن سنن العربية.

كما يدل الاشتراك بين ابن الجوزي، والحريري صاحب «درة الغواص في أوهام الخواص» على أن كتاب «تقويم اللسان» يعالج لحن العامة ولحن الخاصة معاً. وهو إذاً يستخدم لفظ العامة أو العوام، دون الخاصة والخواص، إنما يقصد غالباً أن هذا الخطأ قد وقع من العامة أولاً، وأن هؤلاء الخاصة الذين تقع منهم هذه الأخطاء جديرون بأن يسموا عامة لهذا السبب.

طريقته في عرض المادة:

يعد «تقويم اللسان» من الكتب المختصرة، إذ يكتفي فيه ابن الجوزي بإيراد اللفظ الصواب ويضبطه باللفظ، ثم يذكر ما تقوله العامة ويضبطه باللفظ أيضاً. وقد يستشهد أحياناً، وقد يورد بعض الأخبار في حالات قليلة. وفي حالات أخرى ربما أورد السند على ما

جرى عليه في كتبه الأخرى. وهذه بعض النماذج التي يتضح فيها مسلكه:

١ ــ فهو يبدأ بالصواب بقوله: تقول أو وتقول، مثل: «تقول: استهتر فلان بكذا، ثم يضبط الكلمة بقوله: بضم التاء الأولى وكسر الثانية، وعلى ما لم يسم فاعلية» ثم يذكر ما تقوله العامة بقوله: «والعامة تفتح التاءين، وهو خطأ».

٢ ــ «وتقول: أرعني سمعك والعامة تقول: أعرني».

٣ ــ «وتقول: سهل الشيء، بفتح السين وضم الهاء. والعامة تضم السين وتكسر الهاء».

٤ ــ وأحياناً يتوسع قليلاً، مثل: «وتقول شتان ما هما، قال الأصمعي: «ولا تقل شتان ما بينهما» قال أبو حاتم، فقلت له: فقد قال ربيعة الرقي:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى
يزيد أسيد والأعز - ابن حاتمِ

فقال: ليس ببيت فصيح يلتفت إلى قوله، وإنما هو كما قال الأعشى:

شتان ما يومي على كورها
ويوم حيان أخي جابر

شواهـــده:

لم يكثـر ابن الجوزي من الشـواهد في «تقـويم اللسـان» إنمـا استشهد بعشر آيات من القرآن الكـريم، وستة أحـاديث، وخبرين، واثنين وعشرين شاهـداً شعريـاً، كلها لشعـراء يحتج بشعـرهم، وما أورده غير هذه الشواهد لبعض المتأخرين فهو إما للاستئناس، وإمـا ليقول إن الشاعر وهم في قوله.

مصادر الكتـــاب:

ذكـر ابن الجوزي في مقـدمة «تقـويم اللسان» أن كتـابـه هـذا «مجمـوع من كتب العلماء بـالعربيـة، كالفـراء، والأصمعي، وأبي عبيـد، وأبي حاتم وابن السكيت، وابن قتيبـة، وثعلب، وأبي هلال العسكري ومن تبعهم من أئمة هذا العلم (قال) وإنما لي فيه الترتيب والاختصار». ولهؤلاء العلماء جميعاً كتب في موضوع «اللحن».

فللفراء: البهاء فيما تلحن فيه العامة[1].

وللأصمعي: ما يلحن فيـه العامة[2].

ولأبي عبيـد القاسم بن سـلام: ما خـالفت فيـه العـامـة لغـات العرب[3].

---

(١) بغية الوعاة: ٤١١، كشف الظنون ٣/ ١٥٧٧.

(٢) ذكره ابن يعيش في شرح المفصل: ١/ ٨ وابن خير في فهرسته: ٣٧٥.

(٣) لسان العرب: ٧/ ٢٦٣ (فقز).

ولأبي حاتم السجستاني : لحن العامة[1] .

ولابن السكيت: إصلاح المنطق[2].

ولابن قتيبة: أدب الكاتب، وفيه: كتاب تقويم اللسان.

ولأبي العباس ثعلب: الفصيح[4].

ولأبي هلال العسكري: لحن الخاصة[5].

وثمة مصادر أخرى، لم يصرح بها المؤلف، بل أشار إلى مؤلفيها بقوله: «ومن تبعهم من أئمة هذا العلم».

وقد اقتضاني المنهج أن أبذل محاولة لتحديد هذه المصادر. وقد وفقت إلى تحديدها، وأشرت إلى ما نقله المؤلف منها في موضعه من هذا الكتاب. وهذه المصادر التي لم يصرح بها المؤلف هي:

١ ـ تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة: لأبي منصور الجواليقي.

٢ ـ المعرب: لأبي منصور الجواليقي:

---

(١) أنباه الرواة: ٢/ ٦٢ وبغية الوعاة: ٢٦٥ وكشف الظنون ٢/ ١٥٨٧ وابن خير: ٣٤٨.

(٢) طبع مرتين: ١٩٤٩، ١٩٥٦: شرح وتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون.

(٣) طبع عدة طبعات.

(٤) في كشف الظنون: ٢/ ١٥٧٧ ما يلحن فيه العامة وأرجح أنه هو «الفصيح» إذ يقول في آخره: «ألفناه على نحو ما ألف الناس ونسبوه إلى ما تلحن فيه العوام».

(٥) بغية الوعاة: ٢٢١، كشف الظنون: ٢/ ١٥٧٧.

وقد ذكر المؤلف في ترجمة للجواليقي[1]. أنه قرأ عليه كتابه: «المعرب» وغيره من تصانيفه، وقطعة من اللغة.

كما ردد المؤلف في أكثر من موضع: قال شيخنا أبو منصور، وقرأت على شيخنا أبي منصور.

٣ ــ درة الغواص في أوهام الخواص: لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ).

٤ ــ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحديث: لأبي أحمد العسكري (ت ٣٨٢هـ).

ويتضح مما أثبتناه في هوامش الكتاب من مصادر المؤلف أن جمهرة ألفاظه مجموعة من إصلاح المنطق، وأدب الكاتب (تقويم اللسان) ودرة الغواص، والتكملة، والمعرب.

الكتاب بعد ابن الجوزي:

١ ــ نقل عن «تقويم اللسان» مؤلف مجهول لمخطوطة عنوانها «سقطات العوام» عثر عليها محمد رضا الشبيبي (ت ١٩٦٥م)، في العراق، ووصفها في المجلد السادس من مجلة «المقتبس» الدمشقية[2] (١٩١١م) ثم نشرها في المجلد السابع من المجلة نفسها[3] (١٩١٢)، ويقول الشبيبي في سياق وصفها: «وفي كثير من فصولها يذكر ما نصه (الزائد من كلام ابن الجوزي) ولعل هذا هو أبو الفرج عبد الرحمن صاحب كتاب: المدهش».

(١) المنتظم: ١٠ / ١١٨.

(٢) ص: ٦٢١.

(٣) نشرت في عددين: ص ٣٢، ص ٤١.

وقد رجعت إلى مجلة «المقتبس». وراجعت ما أورده مؤلف «سقطات العوام» عن ابن الجوزي تحت عنوان (الزائد من كلام ابن الجوزي) في ختام أكثر أبواب كتابه، المرتب على حروف المعجم - فتأكد لي أنه منقول عن «تقويم اللسان» وإن كان هذا المؤلف المجهول يغير في طريقة عرض المادة قليلاً بحيث توافق طريقة كتابه، مع المحافظة على لفظ ابن الجوزي، فهو يقدم كلام العامة الذي وقع فيه اللحن، ثم يقدم الصواب، أما ابن الجوزي فيقدم الصواب بقوله «ونقول» ثم يقول والعامة تقول. . ومع ذلك فقد نقل نص كلام ابن الجوزي وطريقته في العرض أحياناً.

ونستطيع الآن - بعد هذه المراجعة - أن نؤكد ما ذكر محمد رضا الشبيبي في «المقتبس» بعبارة «لعل هذا هو أبو الفرج عبد الرحمن». فهو أبو الفرج على التحقيق، وكتابه المنقول عنه هو «تقويم اللسان».

٢ ـ اهتم صلاح الدين الصفدي «ت ٧٦٤هـ» بتقويم اللسان، فجعله واحداً من الكتب التسعة التي نقل عنها في كتابه «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» ورمزه فيه: (و)[١].

---

(١) الكتب الثمانية الأخرى هي: درة الغواص للحريري، ورمزها (ح) والتكملة للجواليقي ورمزها (ق) وتثقيف اللسان لابن مكي ورمزه (ص) ولحن العامة للزبيدي ورمزه (ز) وما صحف فيه الكوفيون للصولي ورمزه (ك) والتنبيه على حدوث التصحيف لحمزه الأصفهاني ورمزه (ث) والتصحيف والتحريف، لأبي أحمد العسكري ورمزه (س) وكتاب الضياءلموسى الناسخ ورمزه (م).

٤٠ ـ قوله في رياضة النفس

والأصل في الأمزجة الصحة، والعلل طارئة، وكل مولـود يولـد على الفطرة، ويوضح ما قلناه إن الريـاضة لا تصلح إلا في نجيب، والكودن لا تنفعه الرياضة والسبع وإن ربي صغيراً لا يترك الافتراس إذا كبر، وقد عرفت تلك الحكاية (فمن أنبأك أن أباك ذيب).

واعلم أن في الإنسان قوى ثلاثة: قـوة ناطقـة، وقوة شهـوانية، وقـوة غضبيـة، فينبغي لمن شـرفـه الله تعـالى بحب العلم أن يعتني بتكميل النفس الناطقة التي فضله الله تعالى بها على سائر الحيوانات وشارك بها الملائكة، فيجعلها هي المسلطة على القوتين الأخريين؛ أعني الشهوانية والغضبية، لتكون منـزلتها في البـدن بمنزلـة الراكب للفـرس، فـإن الفـارس ينبغي أن يكـون هــو المسلط على الفـرس لاستعلائه فيمضي بها أين يشاء ويعقهـا إذا شاء، فكـذلك ينبغي أن تكون القوة الناطقة هي المستعلية على باقي القوى، تستعملها كمـا تحب، وتكفها حين تحب، ومن كان كذلك استحق أن يسمى أنساناً حقيقة. قال أفلاطون: الإنسان بالحقيقة من كانت نفسه الناطقة أقوى الأنفس لأن الشهوانية إذا أفرطت خرج الإنسان إلى طبع البهيمية ومن سيب هواه في مرعاه وجعل حبله على غـاربه فقـد خرج عن مـركزه فصار أخس من البهائم، لأن تلك تمضي بطباعها، وهذا قـد خالف طبعه، ومتى أفرطت القوة الغضبية خرج الإنسان إلى أخلاق السباع والضـواري، فينبغي أن يروض نفسـه بمخالفـة الشهـوانيـة ويكسـر الغضبية، ويتبع القوة الناطقـة، حتى يتشبه بـالملائكـة، ويتحرر من عبودية الشهوة والغضب.

واعلم أن الرياضة للنفس تكون بالتلطف والتنقل من حـال إلى حـال، ولا ينبغي أن يؤخذ أولاً بـالعنف ولكن بـالتلطف، ثم يمـزج الـرغبة والـرهبة، ويعين على الـرياضـة صحبة الأخيـار، والبعد عن الأشرار، ودراسة القرآن الكريم والأخبـار، وإجالـة الفكر في الجنـة والنار، ومطالعة سير الحكماء والزهاد.

وقد كان بعض السلف يشتهي الحلواء فيعدها لنفسه فإذا صلى بالليل أطعمها.

وكان الثوري يأكل ما يشتهي ثم يقوم إلى الصباح ويقول أطعم الزنجي وكده، وما زال المحققون يلطفـون بنفوسهم إلى أن ملكـوها فقهروها.

وقال بعض جيران مالك بن دينار: سمعته ليلة يقول لنفسه هكذا فكوني، فلما أصبحت قلت له ما معك في الدار أحـد فلمن قلت، قال: إن نفسي طلبت مني أدما وألحت فمنعتها الطعام ثلاثة أيام، فلما كانت الليلة وقد انقضت الأيـام وجدت كسـرة فبادرت إليهـا، فقلت قفي آتيك بخبز لين، فقالت قنعت بهذه قلت هكذا فكوني.

واعلم أنه إذا علمت منك النفس الجد جدت، وإذا عرفت منك التكاسل طمعت فيك كما قال الشاعر:

ويـعـرف أخـلاق الـجـواد جـواده
فـيـجـهـده كـراً ويـرهـقـه ذعـراً

ومن الرياضة لها محاسبتها على كل فعل وقول، ومحاسبتها في كل تقصير وذنب، فإذا تمت رياضتها حمدت ما ذمت من تعبها.

قال ثابت البناني: كابدت الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة.

وقال أبو يزيد: ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك وفي هذا المعنى قول الشاعر:

ما زلت أضحك أبكي كلما نظرت
إلى أن أختضبت أجفانها بدمي

وبعد هذا فلا ينبغي أن ينسى حقها، فإن من حقها إعطاءها حظوظها التي لا تقدح في مقصود الرياضة فإنها إذا منعت مقاصدها في الجملة عمي القلب، وتشتت الهم، وتكلف التعبد، واعلم أن قدر النفس عند الله سبحانه أعظم من قدر العبادات، ولهذا أباح الفطر للمسافر، وإنما يعقل هذا العلماء.

٤١ ـ قوله في فضل العدل

فقد روى أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (الوالي العادل المتواضع ظل الله، وركنه في أرضه، ويرفع للوالي العادل المتواضع، في كل يوم عمل ستين صديقاً، كلهم عابد مجتهد في نفسه)[١].

---

(١) حديث ضعيف، السيوطي: الجامع الصغير ص ١٧٧، ويسند السيوطي الحديث في مسند أبي بكر أثناء ترجمته عن أبي بكر في تاريخ الخلفاء ص ٩٢ ويقول: أخرجه ابن حبان في كتاب الثواب، كما أخرجه أبو الشيخ والعقيلي في الضعفاء ويرى الألباني أن الحديث موضوع ضعيف الجامع الصغير ٣: ٢٣٧. والعجلوني: كشف الخفاء ١: ٥٥٣ يقول: رواه ابن أبي =

وعن علي بن ثابت عن محمد بن سيرين عن أبي هريـرة قال: قـال رسول الله ﷺ: (سـاعة عـدل من سلطان خير من عبـادة ستين سنة، قيام ليلهـا، وصيام نهـارها. وجـور ساعـة أشد وأعـظم، من معصية ستين سنة)[1].

وعن عمر بن سعيد عن أبي زرعة عن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: (حدّ يقـام في الأرض خير من المـطر لأهلها أربعين صباحاً)[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال:

(إن المقسطين في الدنيا على منابر من نور يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا)[3].

= شيبـة عن أبي بكر بلفظ «السلطان العـادل المتـواضـع. . .» وقـد ذكـر ابن الجوزي في كتابه «المصباح المضيء» الحديث مطولاً (١: ٢٠٦، ٢٠٧).

(١) المنذري: الترغيب والتـرهيب (٣: ١٣٥) ونسبه إلى الأصبهـاني وذكر ابن الجوزي الحديث في المصباح (١: ٢٠٧) بلفظ «عدل ساعة».

(٢) سنن ابن ماجة (٢: ٨٤٨) الحديث رقم ٢٥٣٨ باختلاف في السند واللفظ وسنن النسائي (٨: ٧٦) من طريق إسماعيل بن علية باختلاف لفظي يسير، وكذلك في المعجم الصغير للطبراني (٢: ٧٢) من طريق محمد بن قدامة، وعن طـريق أبي هريـرة في الجامـع الصغيـر للسيـوطي ١٣٥، وذكـره ابن الجوزي في المصباح (١: ٢١١).

(٣) أخرجه مسلم، مختصر صحيح مسلم (٢: ٨٩) الحديث رقم ٢٠٧ باختلاف لفظي يسير عن عبد الله بن عمر، ومسند أحمد بن حنبل (٢: ١٥٩)، كما أخـرجه النسـائي، المنذري: التـرغيب والترهيب (٣: ١٣٥) السيـوطي: الجامع الصغير ٧٦ والشيباني: تيسيـر الوصـول (٢: ٣٤) وابن الجوزي: المصباح (١: ٢١٢).

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: «إن مدينتنا قد تهدمت فإن رأى أمير المؤمنين، أن يقطع لنا ما لا يرمها به فعل». فكتب إليه: «إذا قرأت كتابي هذا: «فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم فإنه عمارتها»[(١)].

وكان أردشير[(٢)] يقول: «الدين، والملك: أخوان توأمان، لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، لأن الدين أساس الملك، ثم صار الملك بعد حارساً للدين، فلا بد للملك من أساس، ولا بد للدين من حارس، وما لا حارس له فهو ضائع، وما لا أساس له فهو مهدوم»[(٣)].

وقال بعض الحكماء:

---

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ٩٠والمصباح(١: ٢١٦) وابن الطبري: الدين والدولة ٦٧ والثعالبي: خاص الخاص ٨٧ والسيوطي: تاريخ الخلفاء ٢٣٢ وابن قتيبة: عيون الأخبار (١: ١٣) وأبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء (٥: ٣٠٥).

(٢) هو أردشير بن بابك. من أهل فارس استولى على الملك الذي كان لآبائه قبل التفرق في الطوائف، وجمعه في يده وأقام العدل في مملكته، وكان ملكه أربعة عشر سنة وستة أشهر، ابن قتيبة: المعارف ص ٦٦٥، وابن خلدون: العبر (١: ٢٥٢، ٢٥٣).

ابن الجوزي: المصباح (١: ٢١٤) والمسعودي: مروج الذهب (١: ١٨٨، ١٨٩) وابن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ٧٤ والحسن بن عبد الله:آثار الأول في ترتيب الدول ١٣ وأسامة بن منقذ: لباب الآداب ١٨ مع اختلاف لفظي يسير.

عدل السلطان خير من خصب الزمان[١] والولاية إذا لم يعم جوانبها عدل عز صاحبها لا محالة[٢].

فأما ذم الظلم فأخبرنا هبة الله بن محمد قال: أخبرنا الحسن مرفوعاً لابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (الظلم ظلمات يوم القيامة)[٣].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من كانت له مظلمة لأخيه في مال أو عرض فليأته فليستحلها منه قبل أن يؤخذ أو تؤخذ وليس عنده دينار ولا درهم، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته فأعطيها هذا وإلا أخذ من سيئات هذا فجعلت على سيئاته)[٤].

---

(١) ابن الجوزي: المصباح ١: ٢١٦، ٢١٧ وأبو بكر الخوارزمي: مفيد العلوم ٢١٣.

(٢) ابن الجوزي: المصباح ١: ٢١٧.

(٣) أخرجه البخاري، الطهطاوي: هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري ١: ٣٧٣ كما أخرجه مسلم، المنذري: مختصر صحيح مسلم (٢: ٢٤٣) الحديث رقم ١٨٢٨ كما أخرجه الترمذي: الجامع الصحيح (٤: ٣٧٧) الحديث رقم ٢٠٣٠ وأورده ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٢٢) مع ذكر السند بأكمله.

(٤) أخرجه البخاري والترمذي ولفظ البخاري: (رحم الله عبداً كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثم دينار ولا درهم، فإن كانت له حسنات أخذت من حسناته، وإن لم تكن له حسنات حملوا عليه من سيئاته). المنذري: الترغيب والترهيب (٣: ١٤٥) والسيوطي: الجامع الصغير ١٦٢ والطبراني: المعجم الصغير (١: ١٢٦) مع اختلاف لفظي يسير، وابن الجوزي: المصباح (١: ٢٢٣).

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل لما بعثه لليمن: (اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)[1].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السموات، ويقول الرب عز وجل: لأنصرنك ولو بعد حين)[2].

وفي بعض الكتب المنزلة: أيها الملك المسلط على العباد، إني لم أبعثك لتجمع المال، ولكن لترد عني دعوة المظلوم، فإنها ليست محجوبة عني. وجاء في الصحيح: (لتؤذن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الحلجاء من الشاة القرناء)[3].

---

(١) متفق عليه بين أئمة الحديث. السيوطي: الجامع الصغير ٨، والشيباني: تمييز الطيب من الخبيث ٦، والعجلوني: كشف الخفاء (١: ٣٩) والهيثمي: مجمع الزوائد (١٠: ١٥٢)، وابن الجوزي: المصباح (١: ٢٢٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في صحيحه وابن ماجة في السنن المنذري: الترغيب والترهيب (٣: ١٤٦) والسيوطي: الجامع الصغير ١٢٨ والعجلوني: كشف الخفاء (١: ٣٨٨) وابن الجوزي: المصباح (١: ٢٢٥، ٢٢٦).

(٣) أخرجه مسلم: مختصر صحيح مسلم للمنذري (٢: ١٤٥) الحديث رقم ١٨٣٧ والترمذي: سنن الترمذي (٤: ٦١٤) الحديث رقم ٢٤٢٠، والحلجاء التي لا قرن لها. والسيوطي: الجامع الصغير ٢٦١ والمنذري: الترغيب والترهيب (٣: ١٤٥) وابن الجوزي: المصباح (١: ٢٢٧).

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: (رد دانق من حرام يعدل عنه سبعين حجة)[1].

في عقوبة الظلم: الدارقطني عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة. إن أخذه أليم شديد)[2] أخرجاه في الصحيحين[3].

وروى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا ينال شفاعتي سلطان جائر عسوف)[4].

وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: (إن في جهنم وادياً يقال له هبهب، يحق على الله عز وجل أن يسكنه كل جبار)[5].

---

(١) أخرجه ابن جماعة في منسكه الكبير وأسنده الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ (رد دانق من غير حله أفضل من سبعين حجة). العجلوني: كشف الخفاء (١: ٥١٦).

(٢) سورة هود: مكية ١٠٢.

(٣) هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري (١: ٩٤) ومختصر صحيح مسلم (٢: ٢٤٣) ومحمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٧٠٢ والنص لدى ابن الجوزي في المصباح (١: ٢٣٣).

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ورجاله ثقات عن أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ (صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي، إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق) نقلاً عن المنذري: الترغيب والترهيب (٣: ١٤٤) والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٤٣).

(٥) الدارمي: سنن الدارمي (٢: ٣٣١) بإضافه لفظ: (فإياك أن تكون منهم) في آخر النص، كما أخرجه الطبراني وأبو يعلى بإسناد حسن، وقال الحاكم: =

وأوحى الله تعالى إلى موسى: قل لبني إسرائيل تجنبوا الظلم، فوعزتي وجلالي إن له عندي مغبة سوء فقال يا رب. وما مغبة سوء؟ قال: أثكل فيه الولد، وأبيد فيه العشيرة، وأقصر فيه الأجل(١).

وقال عبد الله بن سلام(٢): لما خلق الله عز وجل الملائكة رفعت رؤوسها إلى السماء فقال: ربنا مع من أنت، فقال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه(٣).

وكانت عجوز قد بنت كوخاً إلى جنب قصر ملك، فأمر بنقضه، فجاءت العجوز فرأته منقوضاً. فقالت: يا رب أنا ما كنت حاضرة أنت أين كنت؟ فأمر جبريل فقلب القصر بمن فيه(٤).

ولما حبس جعفر بن يحيى البرمكي(٥) هو وأبوه: فقال لأبيه: يا

إنه صحيح الإسناد، المنذري: الترغيب والترهيب (٣: ١٣٩) والهيثمي: مجمع الزوائد (١٠: ٣٩٣) والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٣٤).

(١) ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٢٨، ٢٢٩) وأثكل بمعنى الفقر والهلاك.

(٢) هو عبد الله بن سلام الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، كان اسمه قبل إسلامه (الحصين) فسماه الرسول ﷺ (عبدالله)، وبشره الرسول بالجنة، وتوفي عبدالله في سنة ٤٣ هـ - ابن عبد البر: الاستيعاب ٣: ٩٢١، ٩٢٢) والزركلي: الأعلام (٤: ٢٢٣).

(٣) ابن اللجوزي: المصباح (١: ٢٢٩).

(٤) ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٣٦) وابن طلحة: العقد الفريد للملك السعيد ٦٦ ويشير إلى أنه مما نقله وهب بن منبه عن جبار من الجبابرة ممن غبر ودثر.

(٥) هو جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، وكنيته أبو الفضل، ولد في بغداد سنة =

أبت بعد الأمر والنهي أصارنا الدهر إلى القيود، ولبس الصوف.
فقال: يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها[١].

وقال بعض الحكماء:

الظلم مسلبة للنعم، والبغي مجلبة للنقم.
وأقرب الأشياء صرعة المظلوم.
وأنفذ السهام دعوة المظلوم.
ومن تغذى بسوء السيرة تعشى بزوال القدرة[٢].
ومن ظلم يتيماً ظلم أولاده [٣].
فالملك يبقى مع الكفر، ولا يبقى مع الظلم [٤].

= ١٥٠هـ، واستوزره هارون الرشيد، وقتله الرشيد سنة ١٨٧هـ، الطبري - تاريخ الأمم والملوك (١٠ : ٨٤)، والجيشهاري: الوزراء والكتاب ٢٠٤ وابن تغري بردى: النجوم الزاهرة (٢ ؛ ١٢٣) وابن الأثير: الكامل في التاريخ (٥ : ١١٤).

(١) ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٣٨).

(٢) ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٣١) وابن العربي: محاضرة الأبرار (٢ : ٣٤٤).

(٣) ابن الجوزي: الكصباح (١ : ٢٣١) وأبو بكر الخوارزمي: مفيدالعلوم: ٣٩٣. وأسامة بن منقذ: لباب الآداب ٥ والثعالبي: التمثيل والمحاضرة ٧١٣ والأمثال والحكم للماوردي، مخطوط، جامعة ليدن ٦.

(٤) قالها النجاشي ملك الحبشة. نقلاً عن ابن حجر العسقلاني: الحكم الراقية من المواعظ الفائقة، مخطوط ق ٦٧ يسار، والثعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ١٣٠ وابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٣١).

فلأجل ما ذكرنا من وجوب العدل وعقوبة الظلم كانت الولاية خطرة فجاءت فيها أحاديث شديدة، لكنها محمولة على من جار وظلم دون من أحسن وعدل.

ومن الصحيح عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فكه عدله أو أوبقه إثمه)[١].

وقال أبو ذر: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: (يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)[٢]

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ يرفعه إلى أبي وائل أن عمر بن الخطاب بعث بشر بن عاصم على الصدقات. فقال يا عمر: سمعت رسول الله يقول: (من ولي للمسلمين سلطاناً، أوقف يوم القيامة على جسر

---

(١) رواه أحمد والطبراني وفيه يزيد بن أبي ملك وثقة ابن حبان وبقية رجاله ثقات. الهيثمي: مجمع الزوائد (٥: ٢٠٤، ٢٠٦) ومسند أحمد (٥: ٢٦٧) والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١: ٣٠١) ومعنى أوبقة: ذله أو أهلكه تاج اللغة الجوهري ولسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي، مادة (وبق).

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود. المنذري: الترغيب والترهيب (٣: ١٣٤) والشيباني: تيسير الوصول (٢: ٣٦) وسنن أبي داود ٣: ٤٨) والنووي شرح صحيح مسلم (١٢: ٢١) والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١: ٣٠٣).

جهنم فيزلزل به الجسر، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً خرق الجسر فهوى في مقرها سبعين خريفاً) فانصرف عنه عمر كئيباً فلقيه أبو ذر فقال: يا عمر مالي أراك كئيباً حزيناً. فقال: وما يمنعني وقت سمعت بشر بن عاصم يحدث بكذا وكذا عن النبي ﷺ. قال أبو ذر أو ما سمعته من رسول الله ﷺ. قال: أشهد لسمعت من رسول الله ﷺ يقول: (ما من وال ولي للمسلمين سلطاناً إلا وقف يوم القيامة على جسر جهنم، فيزلزل به الجسر حتى يزول كل مفصل عن حقه، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً، انخرق به الجسر فهوى في قعرها سبعين خريفاً). فأي الحديثين أوجع لقلبك يا عمر. قال: كل قد أحزنني فمن يأخذها بما فيها[1].

٤٢ ـ قوله في ذكر ما ينبغي للسلطان استعماله

هذا الباب ينقسم قسمين:

أحدهما، ما يستعمله السلطان في حق نفسه.

والثاني، ما يستعمله في حق غيره.

فأما ما يتعلق به:

فإنه ينبغي له أن يخلو بنفسه فيجلو عليها أدلة التوحيد، وشواهد الربوبية فيوقن بوجود الخالق، وينظر في معجزات النبي ﷺ. وما أظهره الله على يديه من الدلائل، والمعجزات، فيعلم صدقه،

---

(١) رواه الطبراني، وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك. الهيثمي، مجمع الزوائد (٥: ٢٠٥، ٢٠٦) والمنذري: الترغيب والترهيب (٣: ١٣٣) والنص لدى ابن الجوزي المصباح (١: ٣٠٤).

فيوجب ذلك عليه الانقياد إلى الشريعة ويعلم بالشرع أنه قد قلد أمراً عظيماً[1].

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسؤول عنهم)[2].

وينبغي أن لا يخلى مجلسه من كبار العلماء الأخيار الأفاضل الذين يخافون الله، فإن ذلك زيادة في دينه، ودنياه، ولا يعمل شيئاً إلا بفتواهم[3].

قال أبو بكر الصديق[4] رضي الله عنه لأصحابه: إذا زغت فقوموني[5].

---

(١) ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦) مع بسط في الموضوع.

(٢) صحيح البخاري (٢ : ٦) ومختصر صحيح مسلم المنذري (٢ : ٨٧، ٨٨) والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٥٢) مع ذكر بقية الحديث.

(٣) ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٥٢ ـ ٢٥٧).

(٤) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين. وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، شهد الغزوات كلها. وبذل الأموال في سبيل الله، وتوفي سنة ١٣ هـ. ابن الجوزي: صفة الصفوة (١ : ٢٣٥، ٢٦٧) والسيوطي: تاريخ الخلفاء (٢٧، ٨١).

(٥) جزء من خطبته عند البيعة العامة للخلافة، فقد قال: «. . . أيها الناس. إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني». ابن الجوزي: صفة الصفوة (١ : ٢٦) والمصباح (١ : ٢٦٧) وابن سعد الطبقات الكبرى (٣ : ١٨٣) والسيوطي: تاريخ الخلفاء ٦٩.

وقال عمر بن عبد العزيز[1] لبعض جلسائه: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فخذ بعضدي وقل يا عمر ما تصنع[2].

وليحرز السلطان من العمل بـالهوى والغضب، أو يجـري على قانون العادة. فيما كان من قبله يفعل، فإن خلقاً من الأمراء يقطعون يـد من لا يجوز قـطعه، ويقتلون من لا يجـوز قتله، ويسمون ذلـك سياسة[3].

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ويكنى بأبي حفص، ولي الخلافة سنة ٩٩ هـ وساد حكمه عدل الخلفاء الراشـدين. ولقب بخامس الخلفـاء الراشدين وتوفي سنة ١٠١هـ.لابن الجوزي سيرة عمر بن عبد العزيز حققها محب الـدين الخطيب طبعـه المؤيد سنـة ١٣٣١ هـ، وصفة الصفـوة (٢: ١١٣ ـ ١٢٧) والذهب: دول الإسلام (١: ٧١) والسيوطي: تاريخ الخلفاء من (٢٢٧: ٢٤٦) وللدكتور عماد الـدين خليل تـرجمة جيـدة عن عمر بن عبد العزيز بعنوان ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز طبعة ثانية ١٣٩١ هـ.

(٢) ابن الجوزي: صيد الخاطر ٣٨ والأصبهاني: حلية الأولياء (٥: ٢٩٢) وابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز (٣٤، ٣٥).

(٣) ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٩٨) ويقول: لقد حـدثت عن أبي الوفـا بن عقيل الفقيه أنه أنكر على شحنة (مدير الشرطة) كان ببغـداد يقال لـه سعد الدولة، وكان إذا أخذ اللصوص طبخهم في القدور فقال له: هذا تعاط على الشريعة معناه أنها لم تأت بما يكفي من الردع، فاحتاجت إلى تمام رأيـك وهذا لا يتعارض مع ما روي عن ابن عقيل: (السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ﷺ، ولا ينزل به وحي) فالمقصود بـه ما لم يتعـارض مع نص من كتاب أو سنة. ابن قيم الجوزية أعلام الموقعين (٤، ٤٦٠، ٤٦١).

وهذا انتقاد على الشرع معناه: أن الشرع قاصر، وأنه ما ورد بما يكفي من الدرع، فنحن نضم إليه برأينا هذا.

وهـذا من أقبح الأشيـاء. بل الشـريعة هي السيـاسة، وقـد قبع الشرع بما وصف فيها[١]. ولم يجلد الزاني إلا بإقراره أربع مرات، أو بأربع من العدول يشهدون أنهم شـاهدوا حقيقـة الزنـا، وذلك لا يمكن، ومقصود الشرع الستر على الخلق وليعلم السلطان، أن دوام دولته بالعدل والشكر.

وقد روينا: أن بعض بني مـروان هرب إلى بـلاد الحبشة، لمـا ظهرت ولاية بني العباس فنزل ببلادهم فأتاه ملك الحبشة، وقال له: ما الذي جاء بك؟ قال: ولي الأمر غيرنا، فاستجرت بك، فقال أنتم تزعمون أن نبيكم حرم الخمر فلم شربتموها! فقال: إنما يفعل ذلك رعاع الناس لاأخلاق لهم. فقال: وتقـولون إنـه حرم الحـرير، فلم لبستموه، فقال: إنما يفعله أتباع لنا. فقال: وتخرجون إلى الصيد في

---

(١) ابن الجوزي: تلبيس أبليس ١٢٩ يقول: (إن الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق قال الله عز وجل (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام مكية ٣٨) وقال: (لا معقب لحكمـه) (الرعد: مدنية ٤١) فمدعي السياسة مدعي الخلل في الشريعة وهذا يزاحم الكفر ويروي ابن الجوزي بأن عضد الدولة كان يميـل إلى جاريـة فكانت تشغل قلبه فأمر بتفريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك. ويعلق على ذلك فيقول: (وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل، واعتقاد أن هذا جائز كفر، وإن اعتقاده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع).

طلب عصفور. فتنزلون بالقرى، فتأخذون أموالهم وتفسدون زروعهم، فقال: إنما يفعله الجهال، قال: لا والله بل بارزتم الله بالذنوب فسلبكم الملك[1].

قال ابن الجوزي:

وليعلم السلطان، أن زينة ملكه وبهجته، الخوف من الله تعالى والتواضع. قال عمر بن الخطاب[2] رضي الله عنه: لو مات جدي بالفرات ضياعاً، لخشيت أن يحاسب الله به عمر[3].

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: قل لملوك الأرض ينزلوا جدب الأرض، وينزلوا الرعية خصبها، ويشربوا كدر الماء، ويسقوا الرعية صفوة فيء حلفت، لئن نزلوا خصب الأرض، وأنزلوا الرعية جدبها، وشربوا صفو الماء وسقوا الرعية كدر الماء لأناقشهم الحساب الذرة والشعيرة[4].

---

(١) الطرطوشي: سراج الملوك ٢٠١ يقول: إن هذه القصة مع مروان الحمار (وهو آخر ملوك بني أمية قتل في أرض مصر بقرية بوصير في سنة ١٣٢ هـ) مع ملك التوبة وابن طلحة النصيبي (الوزير): العقد الفريد للملك السعيد ٦٦ ـ ٦٨.

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، يكنى أبا حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع، بويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر بعهد منه، وتوفي عمر رضي الله عنه مقتولاً في ٢٣ هجرية. لابن الجوزي: ترجمة عن سيرة عمر بن الخطاب وصفة الصفوة (١: ٢٦٨ ـ ٢٩٣).

(٣) ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٧٤) صفة الصفوة (١: ٢٨٥) والأصبهاني: حلية الأولياء (١: ٢٨٥).

(٤) ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٧٥).

قال ابن الجوزي:

والرعية على نوعين: خواص وعوام.

فينبغي أن يكون التفقد لأحوال الخواص أكثر، لأنهم كالأدوات والآلات فمثلهم كمثل الأعضاء، والسلطان كالقلب، ومتى نزلت آفة بعضو لم يأمن تعديها إلى القلب[١].

واعلم أنه متى علم ولاة السلطان أنه يقصد شيئاً فعلوه، فإنه كالسوق مهما نفق فيه جلب إليه[٢]. فإن رأوه يحب العدل عدلوا.

ولما وصل مال كسرى وذخائره إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء. فقال له علي بن أبي طالب: لما رأوك عفيفاً عفوا[٣].

وليحذر السلطان من الغضب.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ليس الشديد بالصرعة. قالوا فمن الشديد؟ قال: الذي يملك نفسه عند الغضب)[٤].

---

(١) ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٧٦ ، ٢٧٧) بشرح وتفصيل، وذات الفكرة لدى ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ٣٦.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار (١ : ٢) ويشير إلى أنه من قول ابن حازم لسليمان بن عبد الملك، والثعالبي: التمثيل والمحاضرة ١٣١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك (٤ : ١٧٧).

(٤) محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان ٧٠٧ الحديث رقم ١٦٨٦. كما أخرج الحديث أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه. المنذري: الترغيب والترهيب (٣ : ٢٧٨) (والصرعة بضم الصاد وفتح الراء هو: الذي =

ووجد على خاتم كسرى[1] مكتوباً: الأناة، الأناة، الأناة (ثلاثاً).

وجعل موضع جلوسه على أربع فراسخ من المدائن حتى يبعد الطريق بينه وبين من يدعوه ليعاقبه، فيسكن غضبه.

ويجعل الحلم شكر الرفعة على الخلق.

ثم ليعلم أنهم في منزلة ولده، والحنو على الولد لازم، وليبالغ في نصحهم ويريد لهم ما يريد لنفسه: فإن لم يفعل فقد غشهم، فإنه ورد عن مغفل بن يسار عن النبي ﷺ أنه قال: (أيما وال ولى شيئاً من أمتي فلم ينصح لهم، ويجتهد لهم كنصحه وجهده لنفسه، كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار[2].

وروى عبد الرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ أنه قال (أيما راع

= يصرع الناس كثيراً بقوته)، والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٤٩).

(١) هو كسرى أنور شروان، ملك الفرس، تولى الحكم بعد والده قباد بن فيروز وقتل مزدك وأتباعه وجمع أهل مملكته على دين المجوسية، ودام ملكه ٤٨ سنة وتوفي سنة ٥٧٩ م. المسعودي: مروج الذهب (١: ١٩٩، ٢٠٠) والطبري: تاريخ الأمم والملوك (٢: ٩١، ٩٤).

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني في معجمه الصغير عن معقل بن يسار. وفيه عبد العزيز بن الحصين وهو ضعيف. مجمع الزوائد (٥: ١٣) ويقول السيوطي: إن الحديث حسن، الجامع الصغير ١٠٨ والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٨٢، ٢٨٣) بسند لا يوجد به عبد العزيز بن الحصين.

استرعى رعيه فلم يحفظها بالأمانة والنصيحة، ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء)[1].

أخبرنا ابن الحصين، قال حدثنا هارون يرفعه إلى عبد الرحمن بن شحاتة عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)[2].

قال ابن الجوزي: ومما ينبغي اعتماده الإحسان إلى الرعية:

قال ابن السماك[3]: عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بإحسانه[4].

---

(١) تاريخ بغداد (٨: ٤٧٢) والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٨٤) قال السيوطي: أخرجه الخطيب البغدادي في التاريخ عن عبد الرحمن بن سمرة، والحديث ضعيف، الجامع الصغير ١٠٨.

(٢) مختصر صحيح مسلم ٢: ٨٩ الحديث رقم ١٢٠٨، كما أخرجه النسائي وأبو عوانة في صحيحه. المنذري والترغيب والترهيب (٣: ١٤٠) والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٨١).

(٣) هو محمد بن صبيح السماك، ويكنى أبا العباس، من متقدمي الزهاد توفي بالكوفة ١٨٣ هـ، ابن الجوزي: صفة الصفوة (٣: ١٧٤ ـ ١٧٧) والأصبهاني: حلية الأولياء (٥: ٢٠٣) والشعراني: الطبقات الكبرى (١: ٥٢).

(٤) ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٨٨) والجاحظ: البيان والتبيين (٣: ٢٠٥) والعامري: السعادة والاسعاد في السيرة الإنسانية ٣١٣ والأبشيهي: المستظرف (١: ١٤٤).

وقال ابن أبي داود[1] لله در البرامكة، عرفوا تقلب الدور، فبادروا بالمعروف قبل العوائق.

فينبغي للسلطان أن يحسن كما يحسن الله إليه، فإن العمر مركب مستعجل، ومقتضى دين لا يمهل.

ومما وجد مكتوباً بالذهب في ذخائر ذي القرنين[2]:

إذا هبت رياحك فاغتنمها
فإن لكل خافقة سكون

---

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن أبي الإيادي، كان فصيحاً بليغاً، وكان من الجهمية (فرقة من الخوارج تنسب إلى جهم بن صفوان)، ويقول بخلق القرآن وحمل المعتصم المتوفي ٢٢٧ هـ على امتحان أحمد بن حنبل، وقد تولى ابن أبي داود منصب قاضي القضاة، وتوفي عام ٢٤٠ هـ. ابن خلكان: وفيات الأعيان (١ : ٦٣، ٧٣) وابن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٤ : ١٤١) والذهبي: دول الإسلام (١ : ١٤٦) وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (٢ : ٣٠٠، ٣٠٢).

(٢) ذو القرنين لقب الاسكندر المقدوني، سمي به لأنه بلغ قطري الأرض: والقرنان كناية عن مشرق الأرض ومغربها، وهو الاسكندر الأكبر ملك مقدونيا، وأشهر قائد حربي في العالم القديم، وهو ابن فيليب، ولد بمدينة بلا سنة ٣٥٦ ق.م. وتعلم على يد أرسطو. وقد مات الاسكندر ولم يبلغ الثلاثة والثلاثين من عمره سنة ٣٣٣ ق.م. وأغلب المفسرين على أنه هو المقصود في قوله تعالى: (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً. إنا مكنا له في الأرض. وآتيناه من كل شيء سبباً فأتبع سبباً..) (الكهف: مكية (٨٣ ـ ٨٥)، القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١١ : ٤٥) ومحمد فريد وجدي: دائرة معارف القرآن. العشرين (١ : ٣١٩ ـ ٣٢٥) و(٧ : ١٧٧١).

=

ولا تـغـفـل عـن الإحـسـاس فـيـهـا
فـمـا تـدري الـسـكـون مـتـى يـكـون[1]

قال ابن الجوزي:

وينبغي أن يسهل السلطان الأذن للعوام، وأن يقعد لهم في وقت، فإن علم النواب بذلك يكفيهم عن ظلم العوام(٢).

= وقد ظهر منذ أعوام بحث علمي جاد لمولانا «أبو الكلام أزاد» اثبت فيه أن المقصود بذي القرنين هو قورش العظيم وليس الاسكندر الأكبر للأسباب الآتية:

١ ـ فتوحات الاسكندر كانت من الشمال إلى الجنوب من اليونان إلى مصر، وفتوحات ذي القرنين من المشرق إلى المغرب وكذلك كان قورش العظيم.

٢ ـ ذو القرنين كان رجلاً صالحاً بدليل قوله تعالى: **﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً. قال أما من ظلم فسوف تعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً. وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً﴾** (الكهف: الآيات من ٨٦ إلى ٨٨) وهذا من سمات الرجل الصالح ولم يكن الاسكندر الأكبر كذلك.

٣ ـ ليس في تاريخ الاسكندر الأكبر خبر عن سد أقامه بين قومه وبين يأجوج ومأجوج، وإنما في تاريخ قورش العظيم أنه أقام هذا السد بين قومه وبين الصين الذي هم قديماً في الغالب يأجوج ومأجوج وقال تعالى: **﴿قال ما مكن فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾** (الكهف: ٩٥)، وقد سافر مولانا «أبو الكلام أزاد» إلى مكان السد ووجد هناك من الآثار ما يثبت أن تاج قورش العظيم كان له قرنان. انظر التفاصيل في كتاب «ذي القرنين» لمولانا أبو الكلام زاد وقد نبهنا إليه أخونا الدكتور فاروق عبد السلام.

(١) النص لدى الماوردي: قوانين الوزارة ص ١٥٦ (وتحقيقنا بالاشتراك).

(٢) ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٩١) مع تفصيل في الموضوع.

وشدة الحجاب توجب انبساط النواب في الرعية، فيكون منها الخلل وسبب الدعاء. كما قال المأمون[1]: ما انفتق علي فتق إلا رأيت سببه من العمال[2].

وقد كان ملوك ساسان يبرزون للناس بروزاً عاماً، وكان الملك يأمر بالنداء في مملكته قبل قعوده بأيام. ليتأهب الناس لذلك اليوم. فيعد المظلومون حججهم، ويكتبون قصصهم. وربما اصطلح كثير من أهل المظالم قبل ذلك خوفاً من الفضيحة والتوبيخ. فيردوا الظلامات، فيبدأ بالملك. إن كان: ثم متظلم منه، فيحضروا الملك مع خصمه إلى قاضيهم، فيقول القاضي: إنه لا ذنب عند الله أعظم من ذنب الملوك، خولهم الله في الرعية ليدفعوا عنها الظلم، فإذا كانت هي ظالمة حق لمن دونها أن يظلم، فإن صح على الملك شيء أخذ منه: وإلا حبس من ادعى عليه باطلاً ونكل به، ثم يقول الملك فيقول: إني أبدأ بنفسي لئلا يطمع طامع في ظلم، فمن كان قبله حق فليرده إلى خصمه[3].

وروى ابن الحصين قال: حدثنا بن المذاهب مرفوعاً إلى

---

(١) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن أبي جعفر المنصور، ويكنى بأبي العباس، ولد سنة سبعين ومائة، وتولى الخلافة ١٩٨ هـ - وأسهم في ترجمة كتب العلم والفلسفة بمهرة التراجمة. وقرب إليه العلماء والفقهاء والمحدثين والشعراء، ومات سنة ١٢٨ هـ ودفن في طرسوس. الطبري: تاريخ الأمم. والملوك (١٠ : ٢٩٣) والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (١٠ : ١٨٣). ولأحمد الرفاعي كتاب ضخم عن (عصر المأمون).

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ٣٢٧.

(٣) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك ١٦١ : ١٦٣.

عمر بن مرة قال لمعاوية: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته ومسكنته)(١). فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس(٢).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله أمر بعبد من عباده أن يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسائل حتى صارت جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه ناراً: فلما سرى عنه، أفاق، قال: لم جلدتموني؟ قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره)(٣).

قال ابن الجوزي:

في إغاثة الملهوف، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»(٤).

---

(١) سنن أبي داود تحقيق الشيخ أحمد سعد (٢ : ١٢٢) والمنذري: الترغيب والترهيب (٣: ١٤١) والهيثمي: مجمع الزوائد (٥: ٢١٠) يقول: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه «أبو السرج» لا يعرفه وبقية رجاله ثقات. والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٩٤).

(٢) ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٩٤).

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف مجمع الزوائد (٧: ٢٦٨) والنص لدى ابن الجوزي: المصباح (١ : ٢٩٥).

(٤) صحيح البخاري (٣: ١٣٨) ومختصر صحيح مسلم للمنذري (٢ : ٢٤٣).

اخبـرنا ابن الحصين مـرفوعـاً إلى أبي هريـرة قال: قـال رسول الله ﷺ: (من نفس عن مؤمن كربة من كـرب الدنيـا، نفس الله عنه كـربة من كـرب يوم القيـامة، ومن ستـر مسلماً ستـره الله في الدنيـا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[1] أخرجه مسلم.

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله يحب إغاثة اللهفان)[2].

وفي بعض الكتب المنـزلـة: إغـاثـة الملهـوف تقي مصـارع الحتوف. وإذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفاً وأهل النار صفوفاً فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة، فيقول: يا فلان أما تذكر يوم اصطفت إليك معروفاً، فيقول: نعم ثم يأخذه بيده. فيقول: يا رب إن هذا اصطنع إليّ معـروفاً في الدنيا. فيقول خذ بيده فـأدخله الجنة. وقال سعيد بن العاص:[3]

أخزى الله المعروف الذي ما ابتدأ من غير مسألة، فأما إذا أتاك

---

(١) المنذري: مختصر صحيح مسلم ٢: ٢٥٨ والترغيب والترهيب (٣: ٥٥٠).

(٢) يقول السيوطي: رواه ابن عساكر عن أبي هريرة، والحـديث حسن، الجامـع الصغير ٦٧.

(٣) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، ولد في عام الهجرة وقيل ولد في السنة الأولى منها، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان رضي الله عنه، وقد استعمله عثمان على الكوفة، وقد توفي سعيد سنة ٥٩ هـ. ابن عبـد البر: الاستيعـاب (٢: ٦٢٤)، وابن سعد: الـطبقـات الكبـرى (٥: ٣٠ ـ ٣٥)، والزركلي: الأعلام (٣: ١٤٨).

تكاد ترى دمه في وجهه يقطر، ومخاطر لا يدري أتعطيه أم تمنعه فوالله لو خرجت من جميع ما تملك من كل شيء ما كافأته[1].

ولبعضهم:

وإذا السؤال مع النوال وزنته
رجح السؤال وخف كل نوال

قال ابن الجوزي:

وليعلم السلطان أسعده الله: أن نصح الرعايا يؤثر في الأرض الخصب، وأن غشه وجوره يؤثر الجدب.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: حدثنا محفوظ بن أحمد قال: حدثنا أبو علي الجازري مرفوعاً إلى ابن السائب عن أبيه. قال: خرج كسرى في بعض أيامه للصيد، فعن له صيد فتتبعه، فانقطع عن أصحابه، وأظلته سحابة وأمطرت مطراً حال بينه وبين أصحابه، فمضى لا يدري أين يقصد؟ فرفع له كوخ فقصده فإذا بعجوز على باب الكوخ فقال لها: أنزل! فقالت: انزل فنزل، فدخل الكوخ، وأدخل فرسه، وأقبل الليل، فإذا ابنة العجوز قد جاءت معها بقرة قد رعتها بالنهار، فأدخلتها الكوخ، وكسرى ينظر إليها، فقامت العجوز إلى البقرة فاحتلبتها لبناً كثيراً، فقال كسرى في نفسه: ينبغي أن نجعل على كل بقرة خراجاً، فهذا حلاب كثير، ثم مضى أكثر الليل. فقالت العجوز: يا بنية قومي إلى البقرة فاحلبيها على عادتها. فقامت

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد تحقيق محمد سعيد العريان (١: ١٦١، ١٦٢) والنويري: نهاية الأرب (٣: ٢١٨).

فوجدتها حائلاً لا لبن فيها، فنادت يا أماه: قد والله أضمر لنا الملك شراً. قالت: وما ذاك؟ قالت: هذه ما يبين فيها قطرة. فقالت لها: امكثي فإن عليك ليلاً. فقال كسرى في نفسه، من أين علمت ما في نفسي؟ أما إني والله لا أفعل ذلك. فمكثت ساعة ثم نادتها يا فلانة: قومي فقامت فوجدت البقرة حافلاً فنادت يا أماه: قد والله ذهب ما كان من نفس الملك من الشر، فأحتلبتها، وأقبل الصبح، وجاء أصحاب كسرى، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه فأحسن إليهما. وقال: كيف علمتما أن الملك أضمر شراً، وأنه قد عدل عنه فقالت العجوز: أنا بهذا الكوخ منذ كذا وكذا، ما عمل فينا بعدل إلا أخصبت بلدنا واتسع عيشنا، وما عمل فينا يجور إلا ضاق عيشنا؛ وانقطع مورد النفع عنا[1].

٤٣ ـ قوله في مواعظ الملوك والخلفاء
نبذة عن كتاب الشفاء لابن الجوزي:

لم نقف على مصادر تشير إلى كامل اسم الكتاب. ولكن أشار حفيد ابن الجوزي «أبو المظفر» أن لجده كتاباً في «الوعظ الملوكي»[2] ويذكر حاجي خليفة من كتب ابن الجوزي كتاب «حسن السلوك إلى مواعظ الملوك»[3] والخوانساري يذكر لابن الجوزي

---

(١) ابن الجوزي: المصباح (١: ٢٨٩، ٢٩٠) مع اختلاف يسير، والحسن بن عبد الله: أثار الأول في ترتيب الدول ١٨.

(٢) مرآة الزمان: ٨: ١٣٥.

(٣) كشف الظنون ١: ٢٦٦ وتابعه إسماعيل البغدادي في هدية العارفين ١: ٥٢١، ٥٢٢.

«مواعظ الملوك»[1] ويبدو لنا أن هذه الأسماء لمسمى واحد هو الكتاب الذي بين أيدينا.

ودليلنا على ذلك ما يلي:

١ ـ إن ابن الجوزي أشار في مقدمة الكتاب أنه صنف كتباً في مواعظ العوام وآثر أن يكتب كتاباً في مواعظ الملوك.

٢ ـ إن ابن الجوزي اتبع في هذا الكتاب المنهج الذي سبق أن أشار إليه في كتابه صيد الخاطر لمن يعظ السلطان فيقول: (ينبغي لمن وعظ سلطاناً أن يبالغ في التلطف ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم، فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة فإذا جرى نوع توبيخ لهم كان إذلالاً. وهم لا يحتملون ذلك. وأنما ينبغي أن يمزج وعظه بذكر شرف الولاية. وحصول الثواب في رعاية الرعايا. وذكر سير العادلين من أسلافهم)[2].

٣ ـ إن ابن الجوزي في هذا الكتاب يروي عن شيوخه: كابن الناصر وابن الحصين.

٤ ـ بالرجوع إلى ما ورد بهذا الكتاب من نصوص لابن الجوزي في مؤلفاته الأخرى وخاصة كتابه المصباح المضيء وجد أنها بذات اللفظ أو قريباً منه مما يؤكد أن هذا الكتاب لابن الجوزي. لأن المؤلف إذا كان مكثراً في تصانيفه كابن الجوزي، كثيراً ما يتكرر لديه الشاهد في أكثر من مصنف.

---

(١) روضات الجنات: ٣: ٤٢٧.

(٢) ابن الجوزي: صيد الخاطر ٣٣٤.

الكتب المصنفة في وعظ الملوك:

لم يكن ابن الجوزي: أول من ألف في مواعظ الملوك. وقد سبقه فيما نعلم الإمام الماوردي المتوفي عام ٤٥٠ هـ بكتابه «نصيحة الملوك» ويبدو لنا أنه قد تأثر به.

كما ألف محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي المتوفي سنة ٤٨٨ هـ، وهو ظاهري المذهب وتلميذ لابن حزم الأندلسي المتوفي عام ٤٥٦ هـ كتاب «الذهب المسبوك في مواعظ الملوك»[١]، وللإمام أبي حامد الغزالي المتوفي ٥٠٥ هـ كتاب «التبر المسبوك في نصيحة الملوك» ويكاد الكتاب أن يكون فارسياً منقولاً إلى اللغة الغربية مع إضافات تتفق والاتجاهات الإسلامية يقول الغزالي في مقدمته: (سألني بعض المتقدمين من الكبراء أن أنقل هذا الكتاب من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية فامتثلت ذلك ونقلته على ترتيبه وصورته. ولم أغير شيئاً من وضع الكتاب واجتهدت في تسهيل عبارته... وترجمت عما استشهد به مؤلف الكتاب من الأخبار والأشعار الفارسية بأشعار عربية)[٢] كما ألف الإمام الطرطوشي المالكي المتوفي عام ٥٢٠ هـ كتاب «سراج الملوك». واعتمد فيه على الأسلوب القصصي وحكم الفرس والروم والهند، وكذلك كتاب جمال الدين عبد الرحمن بن نصر الشيرازي المتوفي ٥٨٩ هـ المسمى «المنهج المسلوك في سياسة الملوك».

---

(١) الزركلي: الأعلام (٧: ٢١٨) والضبي: بغية الملتمس ١٢٤.
(٢) الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك ٥.

أهمية كتاب الشفاء وموضوعه:

أما كتاب ابن الجوزي الذي نقدمه فعلى الرغم من صغره فإنه تضمن ما ينبغي أن يتأدب به الحكام مما عرف بالتجارب والرأي الصائب، وما ينبغي أن يفعله رئيس الدولة وما ينبغي أن يتجنبه، فقد بسط الحديث في فرض الجهاد كواجب أساسي على الحاكم لإعلاء كلمة الله تعالى. وأن يعين الأكفاء في الولايات العامة ويتفقد أحوال الرعية، وأن يكون العدل أساس حكمه باعطاء كل ذي حق حقه. وأن يتجنب الظلم. وأن يكون للحاكم مجلس شورى من العلماء المخلصين لله ولرسوله، والذين لا يخافون في سبيل الله لومة لائم. وأن يلتزم بما ينتهي إليه رأيهم، وأن يعمل الحاكم بشريعة الله: لأنها السياسة الحقة لاصلاح حال الفرد والمجتمع.

ويعتمد ابن الجوزي في كتابه على بيان ذلك بالأدلة من السنة النبوية من الكتب الصحيحة المعتمدة في غالبها، ويبين منهج التطبيق الإسلامي للسلف الراشد، وإمكان تحقق التجربة في أي فترة بالرجوع إلى الأصول والمسلمات الثابتة كما هو الحال في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولم يخل كتابه من مقارنات بحكم مستقرة بين العرب أو نقلت إليهم من الفرس أو اليونان ولا يعدو ذلك أن تكون بوادر ولمحات لمنهج الدراسات المقارنة.

ومما يزيد في قدر ابن الجوزي رفعة أنه واجه حاكم عصره كما سلف أن أوضحنا في موقفه مع المستضيء بالله عند مصادرة مال أحد الرعية لغير ذنب جناه، ولم يكن العصر بعصر عمر بن الخطاب أو

عمـر بن عبد العـزيز رضي الله عنهما، وإنما كـان العصـر لخليفـة مشغول بلذاته، وأمراؤه يكاد أن يكون طابعهم الظلم[1].

٤٤ ـ قوله: في بيان شرف الولايات وخطرها

قال ابن الجوزي: اعلم وفقك الله وأسعدك: أن كل ما له منظر ففيه مخاطرة، وكل ما ارتفع المقام ازدادت المخاطرة فيه، ولا تنـال الراحة بالراحة، ألا ترى أن الربح في ركوب البحر وفيه خطر، ومرتبة الفتوى غاية العلم وفيها خطر وكذلك السلطنة؛ فإذا سلم التاجر من البحـر، والمفتي من الذلـل، والسلطان من الحيف، لم يـزاحم في فضيلة.

وتزيد مرتبة السلطان العادل على قوام الليل وصوام النهار، لأن نفع أولئك لا يتعداهم ونفعه يتعدى، إذ بنظره يتعبد المتعبدون، ويسافر التاجرون، ويشتغل بالعلم المتعلمون، فكأنه عبد الله بعبادة الكل.

قال سفيان الثوري[2]: صنفان إذا صلحا صلح الناس: السلطان

---

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر ٢٧ : ٣٨.

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، يلقب بأمير المؤمنين في الحديث، نشأ في الكوفة وفيها تعلم، وراوده المنصور (المتوفي ١٥٨ هـ) على أن يلي الحكم فأبى، وخرج من الكوفة هارباً ثم انتقل إلى البصرة، وانتهى أمـره إلى الزهد وكانت له مساجلات كثيرة مع رابعة العدوية (المتوفاة ١٣٥ هـ).
وله من الكتب: الجامع الكبير. والجـامع الصغيـر في الحديث وكتـاب في الفـرائض وتوفي سنـة ١٦١ هـ (راجع في مصـادر تـرجمتـه) ابن النـديم، الفهرست ٣٢٨، والأصبهاني حلية الأولياء ٦: ٣٥٦، جـ ٧، والـذهبي: =

والعلماء[1] وإن جار السلطان في ولايته فإنه شين لذكره الجميل في الدنيا. وأعد له العقاب في الآخرة على ما سنذكره في عقوبة الظلم.

٤٥ ـ قوله [في فضل الجهاد]

أخبرنا بن الحصين متصلاً إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «انتدب الله عز وجل لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً لرسلي، فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيأته يوم كلم لونه لون دم، وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية قعوداً في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فيتبعوني ولا تطيب أنفسهم فيتخلفون بعدي، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»[2].

= دول الإسلام ١: ١٠٩، وقد أشار ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر، ولفتة الكبد، ومناقب الإمام أحمد أنه ألف كتاباً في مناقب سفيان الثوري، وهناك ترجمة حديثة عن سفيان الثوري بقلم شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله، طبعه دار المعارف بمصر.

(١) النص لدى الأصبهاني حلية الأولياء (٧: ٥) وابن الجوزي: المصباح المضيء (١: ٢٤٥) بلفظ صنفان إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة السلطان والعلماء.

(٢) صحيح البخاري «٤: ٢١، ٢٢» ومختصر مسلم للمنذري ٢: ٤٤، ٤٥ وسنن النسائي «٨: ١٢٠، ٦: ٨».

وأيضاً عن أبي هريرة قال: سأل رجل رسول الله ﷺ. أي الأعمال الأفضل؟ قال: «الإيمان بالله» قال: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[1]. هذان الحديثان في الصحيحين. وفيهما أيضاً من حديث عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ﷺ أنه قال: (اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[2].

وفي حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[3].

وفي حديث عثمان عن النبي ﷺ أنه قال: «حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها»[4].

وروى أبو هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ورجل ستر، وعلى رجل وزر».

فأما الذي هو له أجر فرجل ربطها في سبيل الله: فأطال بها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها انقطع طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت

---

(١) صحيح البخاري «٤: ١٧، ١٨» ومختصر صحيح مسلم «٢: ٥» وسنن النسائي «٦: ٩».

(٢) صحيح البخاري «٤: ٢٧» ومختصر صحيح مسلم «٢: ٤٤».

(٣) صحيح البخاري «٤: ٢٠» ومختصر صحيح مسلم «٢: ٤٦» وسنن الترمذي «٤: ١٨».

(٤) قال الترمذي في الحديث: حسن صحيح غريب، سنن الترمذي «٤: ١٩٠» وسنن ابن ماجة «٢: ٩٢٤» والمنذري: الترغيب والترهيب «٢: ١٥٢».

أرواثها وأثارها حسنات له. ولو أنها مرت بنهر فشربت منه، ولم يرد أن يسقى كل ذلك حسنات له فهي لذا أجر.

ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ثم لم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك ستر.

«ورجل ربطها فخراً ورياء لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر»[1]. أخرجاه في الصحيحين.

وعن فضالة بن عبيد يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينهي له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر» قال الترمذي حديث حسن صحيح[2].

وعن زيد بن خالد الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «من جهد غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا»[3] وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يصوم عبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفاً»[4].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يجد الشهيد من

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ٣٥، ٣٦ ومحمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان ١٩٩، ٢٠٠، وكلمة ثلاثة ساقطة من الأصل وكلمة آثارها قبل أرواثها.

(٢) سنن الترمذي ٤ : ١٦٥ كما أخرجه أبو داود. سنن أبي داود ٢ : ٩.

(٣) صحيح البخاري ٤ : ٣٣ وسنن الترمذي ٤ : ١٦٩، ١٧٠ وسنن النسائي ٦ : ٤٦ والمنذري، الترغيب والترهيب ٢ : ١٥٧.

(٤) حديث حسن صحيح، أخرجه الترمذي. سنن الترمذي ٤ : ١٦٦.

القتل إلا كما يجد أحدكما من شرطة الحجام أو من القرصة».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح(١).

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من غازية تغزوا في سبيل الله عز وجل فيصيبون غنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم» انفرد به مسلم في الصحيح(٢).

عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثني؟ فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك(٣).

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني؟ فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت. فيقول يا رسول الله أغثني؟ فيقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك» هذا

---

(١) سنن الترمذي «٤ : ١٩٠».

(٢) مختصر صحيح مسلم «٢ : ٤٩».

(٣) النص في البخاري، وفي الأصل: لا أملك من شيء لك فقد أبلغتك.

حديث أخرج في الصحيحين» [1].

ـ وقد ذكر غير واحد أنه لا يبعد ظهور الأعمال بنوعيها بصور تناسبها فحينئذ يمكن أن يقال معصية كل غال تظهر في صورة غلوله فيكون لها الحامل المتأمل وبها المفتضح المخذول «يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون» «الأنعام: مكية ٣١» والحديث في صحيح البخاري «٤ : ٩٠، ٩١» ومختصر صحيح مسلم للمنذري «٢ : ٩٠».

٤٦ ـ قوله في منتخب من سير الولاة

فمن سير الخلفاء:

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: جاء غلام له بطعام فأكله ثم سأل عنه، فقال: أخذته من دار فلان فقام فقاء حتى أخرج معه

(١) مفردات الحديث: الثغاء، صياح الشاة، الحمحمة: صوت الفرس وهو دون الصهيل، الرغاء: صوت الأبل عند رفع الأحمال عليها. الصامت: الذهب والورق أو ما لا روح فيه من أصناف المال. الرقاع: الثياب الخفوق: الاضطراب.

وهذا الحديث يرشد إلى أن الحمل على ظاهره، ويحتمل أن يكون من باب التمثيل، والمراد بيان سوء حال الغال، وشدة ما يلاقيه في المال وتشبيه الثقل المعنوي بالثقل الحسي شائع الاستعمال مع التعبير في جانبه بالحمل. فنقول: إني متحمل هذا الأمر على كاهلي، بمعنى إني أتكبد مشاقه وأعاني آلامه. وقيل إن المعاني تظهر يوم القيامة في صور جسمانية كما يؤذن بذلك خبر مجيء الموت في صورة كبش في الصحيح.

الـدم وقـال: كـادت هـذه الأكلة تقتلني[1]. سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت أي من حرام فالنار أحق به»[2].

ولما ولي الخلافة أصبح غـادياً إلى السـوق وعلى رقبته أثـواب يتجـر بها، فلقيـه عمر وأبـو عبيـدة[3] فقـالا: أين تـريـد يـا خليفـة رسول الله؟ فقال: السـوق قالا لـه: انطلق حتى نفـرض لك شيئـاً، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وبردين إذا أخلقهما أخذ مثلهما وأن ينفق على أهله مثل ما كان قبل الولاية. فقال: رضيت[4] أضعفكم عندي القوي حتى آخذ له بحقه [5].

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل: الزهد ١٠٩، ١١٠ والأصبهاني. حليـة الأولياء ١: ٣١ وابن الجوزي: صفة الصفوة مع تغير لفظي يسير.

(٢) أخـرجه الـطبراني في معجمـه الكبير وأبـو نعيم في الحليـة عن أبي بكـر. السيوطي الجامع الصغير ٢٣٤ وحلية الأولياء ١ : ٣١.

(٣) ترجمته هو عامر بن عبد الله الجراح بن هلال القهري القرشي، المشهور بأبي عبيدة بن الجراح ولـد في العام الأربعين قبـل الهجرة، وهـو أحد العشـرة المبشرين بالجنة ولقبه الرسول ﷺ: «أمين هذه الأمة» فتحت دمشق على يدي أبي عبيدة، وتوفي سنة ١٨ هـ ابن عبد البر: الاستيعاب ١٧١٠ وحلية الأولياء (١ : ١٠٠) الذهبي: دول الإسلام ١: ١٥ والزركلي ٤ : ٢١.

(٤) ابن الجـوزي: صفـة الصفـوة ١ : ٢٥٧، ٢٥٨ والمصبـاح ١ : ٣٣٢ وابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ١٨٤ والأصبهاني: حلية الأولياء ١ : ١٠٠.

(٥) ابن الجـوزي: المصبـاح ١ : ٣٣٤ وصفـة الصفـوة ١ : ٢٦٠ وابن سعـد: الطبقات ٣ : ١٨٣ وابن زين الطبري: الدين والدولة ص ٦٣ وجدير بنا أن نشير إلى قول على ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو يعدد مناقب أبا بكر بعد وفاته فيقول: «لم يكن لأحد فيك مهمز ولا لقائل فيك مغمز ولا فيك مطمع ولا عندك هوادة لأحد، الضعيف الذليل عندك قوي حتى تأخـذ له بحقـه،

وكـان يقول في مـوعظتـه: أين الملوك الذين بنـوا المدائن قـد تضعضع لهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبـور. الوحـا، الوحـا، النجـاء، النجاء، إنكم تغـدون وتروحـون في أجل قـد غيب عنكم فسابقوا في مهل أجلكم إن أمامكم طالباً حثيثاً ممره سريع(١).

ومن سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان يتعهد رعيته. قال طلحة: رأيته يدخل بيتاً، فدخلت ذلـك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة فقلت: ما بال هذا الرجل يأتي هنـا؟ فقالت: يتعاهدني بالشيء من الـطعام ويقيم البيت ويخـرج الأذى من البيت(٢).

وروى ابن عمر هذا عن أبيه قال: قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف(٣): هـل لك

= والقوي العزيز عندك ذليل حتى يؤخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، نقلاً عن الهيثمي: مجمع الزوائد ٩: ٤٨.

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١: ٢٦١ والمصباح ٢: ٦ ص ٦ والأصبهاني: الحلية ١: ٣٤، ٣٥.

(٢) ابن الجـوزي: المصباح ١: ٣٤١ وصفـة الصفوة ١: ٢٨١ وسيـرة عمر بن الخطاب ص ٤٨ وأبو نعيم الأصبهاني: الحلية ١: ٤٨.

(٣) ترجمته: هو عبد الرحمن بن عوف بن الحـارث، يكنى أبا محمـد ولد قبـل الهجرة بأربعة وأربعين عاماً وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذي جعل عمر الخلافة فيهم وكان تاجراً كسـوباً وكثيـر الانفـاق في سبيـل الله تـوفي سنـة ٣٢ هـ ودفن بـالقيـع. ابن عبـد البـر: الاستيعاب ٢: ٤، ٨ والذهبي: دول الإسلام ٢٦ والزركلي: الأعـلام ٤: ٩٥.

أن تحرسهم الليلة من السرقة فباتا يحرسانهم ويصليان فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله واحسني إلى صبيك؟ ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه. فأتى أمه فقال: إني لأراك أم سوء! ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت: يا عبد الله قد أبرمتني: إني أريفه على الفطام فيأبى قال: ولم؟ قالت: إن عمر لا يفرض إلا للفطم قال: لا تعجليه، ثم صلى بالناس وما تستبين قراءته من غلبة البكاء فلما سلم. قال: بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر منادياً فنادى: إنا نفرض لكل مولود في الإسلام(1).

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجنا مع عمر إلى «حرة» وأقام إذا نار فقال: يا أسلم إني لأرى ها هنا ركباً قد مضى بهم الليل والبرد، انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان صغار وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاعفون فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاعفون؟ قالت: الجوع. قال: فأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا فولى وأقبل علي وقال: انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلاً من دقيق وكبة من شحم فقال: احمله علي فقلت: أنا أحمله عنك قال: ما أنت بحامل من وزري شيئاً يوم القيامة لا أم لك، فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه فألقى ذلك عندها ثم أخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها دري

---

(1) وابن الجوزي: سيرة عمر بن الخطاب ٤٨ والمصباح ١: ٣٤٣ وصفة الصفوة ١: ٢٨٢ وابن سعد: الطبقات ٣: ٣٠١ وأريفه عن الفطام: أي أديره عليه وأريده منه

علي وأنا آجرك وجعل ينفخ تحت القدر. ثم أنزلها فقال: ابغني شيئاً فأتته بصفحة فلم يزل حتى شبعوا فجعلت تقول: جزاك الله خيراً كنت أولى بهذا الأمر من عمر فيقول: قولي خيراً ثم تنحى عنها ثم ربض فقلت: لك شأن غير هذا فلم يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا فقال: يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبقاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أراهم يلعبون مثل ما رأيت[١].

وكان لعمر خازن يقال له «معيقيب» على بيت المال فكنس البيت يوماً فوجد فيه درهماً فدفعه إلى ابن عمر فيقال: يا ويحك يا معيقيب: مالي ومالك؟ أردت أن تخاصمني أمة محمد في هذا الدرهم يوم القيامة[٢].

وقال عمر: إني لا أجد يحل لي أن آكل من مالكم إلا ما كنت آكل من مالي[٣] الخبز والزيت والخبز والتمر[٤].

وخطب عمر وهو خليفة وعليه إزار فيه اثنتا عشر رقعة.

وأتى يوماً بماء فذيب بعسل فقال: اعزلوا عني حسابها[٥].

وكان يدني يده من النار ويقول: يا ابن الخطاب أتصبر على هذه؟[٦].

---

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن الخطاب ٤٩، ٥٠.

(٢) ابن الجوزي: نفس المصدر ٧٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ٢٧٦.

(٤) ابن الجوزي: المصباح ١: ٣٤٧ وصفة الصفوة ١: ٢٨ وأحمد بن حنبل الزهد ١٢٤ والأصبهاني: حلية الأولياء ١: ٥٣.

(٥) أحمد بن حنبل: الزهد ١١٩.

(٦) ابن الجوزي: المصباح ١: ٣٤٩.

وكان يأخذ من الأرض تبنة ويقول: ليتني كنت هذه التبنة [1].

وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء [2].

ولما مرض قال لابنه عبد الله: ضع رأسي على الأرض فوضعه فقال: الويل لعمر وويل أمه إن لم يرحمه ربه [3].

وقال ابن عمر: رأيت عمر في المنام فقال: منذ كم فارقتكم قلت: منذ اثنتي عشرة قال: إنما انفلت من الحساب الآن [4].

ومن سيرة عثمان [5] رضي الله عنه:

كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل ويقبل في المسجد.

وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت [6].

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١: ٢٨٥ والمصباح ١: ٣٤٩.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١: ٢٨٦.

(٣) أحمد بن حنبل: الزهد ١٢٥ والأصبهاني: حلية الأولياء ١: ٥٢.

(٤) الأصبهاني: نفس المصدر ٥٤ وابن الجوزي: سيرة عمر بن الخطاب ١٦٤.

(٥) هو عثمان بن أبي العاص بن أمية من قريش ،وله ثلاث كنى: أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ،ويلقب بذي النورين وهو ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة واستشهد في سنة ٣٥ هـ بعد اثني عشرة سنة من خلافة البستي: مشاهير علماء الأمصار ص ٥، ٦ وتاريخ خليفة بن الخياط ١: ١٦ وابن الجوزي: صفة الصفوة ١: ٢٩٤ - ٣٠٧.

(٦) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١: ٣٠٢، ٣٠٣ والمصباح ١: ٣٥٧، ٣٥٨ والأصبهاني حلية الأولياء ١: ٦٠.

ومن سيرة علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه:

كان يفرق بيت المال ثم يكنسه ويصلي فيه ركعتين[2].

وصفه ضرار بن سعد فقال: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب، فاشهد الله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يلملم لململة السليم ويبكي بكاء الحزين وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا إلي تعرضت أم لي تشوفت هيهات هيهات غري غيري قد بتتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير،آه، آه،من قلة الزاد وطول الطريق[3].

ومن سيرة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه:

لما ولي الخلافة قدمت إليه مراكب الخلافة فقال: مالي ولها.

---

(١) علي بن أبي طالب يكنى أبا الحسن رضي الله عنه ولد سنة ٣٢ قبل الهجرة وهو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين وابن عم النبي وصهره واستشهد في سنة ٤٠ هـ وله إثنان وستون سنة. البستي: مشاهير علماء الأمصار ص ٦، ٧ ابن عبد البر: الاستيعاب ص ١٠٨ إلى ١٣٤ والذهبي: دول الإسلام ١: ٣٣ ابن الجوزي: صفة الصفوة ١: ٣٠٨، ٣٣٥.

(٢) ابن الجوزي: المصباح ١ ص ٣٦١ وصفة الصفوة ١: ٣١٥ وأحمد بن حنبل الزهد ١٣١.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١: ٣١٥، ٣١٦ والمصباح ١: ٢٦٥ والأصبهاني الحلية ١: ٨٤، ٨٥ وابن عبد البر: الاستيعاب ٨، ١١.

نحوها عني وقدموا إلي دابتي، فقربت إليه، فجاء صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة. فقال: تنح عني، مالي ولك: إنما أنا رجل من المسلمين[1]، ثم أمر بالستور فرفعت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فأمر ببيعها، وإدخال ثمنها بيت المال[2] ثم ذهب يتبوأ مقيلاً فأتاه ابنه فقال له: أتقيل ولا ترد المظالم فقال: أي بني، إني سهرت البارحة في أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم فقال: من لك أن تعيش إلى الظهر؟ فقبل رأسه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني فخرج ولم يقل[3].

ثم سمعوا من بيته بكاء عالياً فقالوا: إنه قد خير جواريه فقال: إنه قد نزل بي أمر شغلني عنكن فمن أحب أن أعتقه، أعتقته ومن أراد أن أمسكه أمسكته، ولم يكن ما تعرفن مني أولاً فبكين بأساً منه[4]

ولقد قوم ثيابه باثني عشر درهم[5].

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢: ١١٣، ١١٤ والمصباح ١: ٢٦٧، ٣٣٧ وابن كثير: عمر بن عبد العزيز تقديم وتعليق أحمد الشرباصي ص ١٦ والسيوطي: تاريخ الخلفاء ٢٣١.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة ص ٢: ١١٥ وابن الأثير الكامل ٤: ١٦٤ وابن كثير: عمر بن عبد العزيز ٦١.

(٣) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز تحقيق محب الدين الخطيب ١٠٤ وصفة الصفوة ٢: ١١٥ والمصباح ١: ٣٧٨ وأحمد بن حنبل: الزهد ٢٩٣.

(٤) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ٧٥، ٨٥ وصفة الصفوة ٢: ١١٨ والمصباح ١: ٣٧٨ وأبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ٥: ٢٥٩.

(٥) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ١٥١ وصفة الصفوة ٢: ١١٩ والمصباح ١: ٣٧٨ والأصبهاني: نفس المرجع ٢٢٣.

وشكى إليه بعض عماله فكتب إليه عمر: أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله ويكون آخر العهد وانقطاع الرخاء فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه فقال: ما أقدمك؟ قال: كتابك الذي خلع قلبي، لا أعود إلى ولاية أبداً(١).

وكان لعمر سفط في ذراعه شعر وغل من حديد، فإذا جن الليل لبسهما، ووقف على قدميه يصلي ويبكي حتى تختلف أضلاعه وما زال يبكي حتى بكى الدم(٢).

أخبرنا علي بن أبي عمر، قال: حدثنا محمد بن الحسن الباقلاني، قال: أخبرنا عبد الملك بن شيراز قال: حدثنا أبو بكر الأجري قال: حدثنا عمر بن أيوب قال: حدثنا أبو أيوب قال: حدثنا أبو تمام قال: حدثنا يزيد بن هارون عن زياد بن أبي زياد قال: أرسلني مولاي إلى عمر بن عبد العزيز فدخلت إليه وعنده كاتب يكتب له فقلت: السلام عليكم فقال: وعليكم السلام ثم انتبهت فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال: أنا لسنا ننكر الأولى والكاتب يقرأ عليه مظالمه جاءت من البصرة فقال لي: اجلس: فجلست على أسكفة الباب وهو يقرأ عليه، وعمر يتنفس صعداً فلما فرغ أخرج من كان في البيت حتى وصيفاً صغيراً ثم قام يمشي حتى جلس بين يدي ووضع يديه على ركبتي ثم قال: يا ابن

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ١٠٠.

(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ١٧٨ وأحمد بن حنبل: الزهد ص ٣٠١ الأصبهاني: الحلية ٥: ١٩١ وصفة الصفوة ٢: ٢٤٤.

أبي زياد استدفأت في مدرعتك واسترحت مما نحن فيه ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة وحالهم ونسائهم وسألني عن أمور كان أمر بها ثم قال: ألا ترى ما وقعت فيه قلت: يا أمير المؤمنين إني لأرجو لك خيراً. قال: هيهات ثم بكى حتى جعلت أرثي له فقلت يا أمير المؤمنين ما تصنع فإني لأرجو لك خيراً فقال: هيهات! هيهات، أشتم ولا أشتم وأضرب ولا أضرب، وأؤذى ولا أؤذي، ثم بكى حتى جعلت أرثي له[1].

ومن أعجب ما روي من سير السلاطين:

سيرة جلال الدولة ملك شاه[2] كان يحب العدل والإنصاف فركب يوماً إلى الصيد فلقيه سوادي يبكي فقال: مالك؟ قال: لقيني ثلاثة غلمان فأخذوا حمل بطيخ كان معي هو ما أملك وهو بضاعتي فقال له: امضي إلى العسكر، فهناك قبة حمراء فاقعد عندها ولا تبرح إلى آخر النهار فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك فلما عاد السلطان، قال للشرابي: قد اشتهيت بطيخاً ففتش العسكر وخيمهم على شيء من ذلك، ففعل الشرابي، فوجد البطيخ فقال: عند من رأيتموه؟ فقيل في

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢: ١٢٢ وأحمد بن حنبل: الزهد ٢٩٩.

(٢) ترجمته: هو جلال الدولة ملك شاه بن ألب رسلان بن جغري بك السلجوقي تسلطن بعد وفاة أبيه في شوال ٤٦٥ هـ، وكان من أحسن الملوك سيرة ولذلك كان يلقب بالسلطان العادل وكان منصوراً في حروبه مغرى بالعمائر حفر الأنهار وعمر الأسوار والقناطر وعمر جامع السلطان ببغداد وأبطل المكوس في جميع بلاده وكانت وفاته في شوال ٤٨٥ هـ. الذهبي: دول الإسلام ٢: ١٤ وابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ٥: ١٣٤، ١٣٥.

خيمة الحاجب فلان فقال: احضروه. فأحضر. فقال له من أين لك هذا؟ قال: الغلمان جاءوا به فقال: أريدهم الساعة؟ فمضى وقد أحسوا بالشر فهربوا خوفاً من أن يقتلهم، وعاد فقال: قد هربوا لما علموا أن السلطان يطلبهم. فقال: أحضروا السوادي فأحضر فقال له: أهذا الذي أخذ بطيخك منك قال: نعم. قال: خذه وهذا الحاجب مملوك لي وقد سلمته إليك ووهبته لك حين لم يحضر الذين أخذوا بطيخك. والله لئن خليته لأضربن عنقك فأخذ السوادي بيد الحاجب فأخرجه فاشترى الحاجب نفسه من السوادي بثلاثمائة دينار فعاد السوادي إلى السلطان فقال: يا سلطان قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار قال: ورضيت قال: نعم. قال: اقبضها وأمن مصاحباً[1].

وكان هذا السلطان يقف للمرأة والضعيف[2] ولقي في سفره تجاراً على عقبة فوقف حتى مضوا على مهل[3] وجاءه رجلان قد ظلما فاستغاثا إليه فقال خذا بيدي واحملاني إلى الوزير فامتنعا فقال: لا بد. فأخذ كل واحد منهما بيد ومشى معهما فبلغ ذلك الوزير نظام الملك[4] فقام حافياً وتلقاه، وقال: ما هذا؟ قال: أنت الذي

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٩: ٧٠ والأذكياء تحقيق أسامة عبد الكريم (٧٩) طبعة دمشق ١٩٧١ وابن أبي حجلة المغربي: سكردان السلطان بها مشى كتاب المخلاة ٧٠.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٩: ٧٠.

(٣) ابن الجوزي: نفس المصدر ٧١.

(٤) هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، كان مجلسه معموراً بالفقهاء والقراء وأنشأ عدة مدارس ومساجد وكان حليماً وقوراً ونبيلاً وزر =

أحوجتني إلى هذا؟ أنا أنصبتك لتدفع عني الظلم فإذا لم تدفع عني أخذاني يوم القيامة هكذا [1].

ومن سير الوزراء:

فمنهم أبو أيوب المورياني [2].

قال ابن شبرمة: كان فاضلاً يحب مكارم الأخلاق حكى عنه ابن شبرمة قال: زوجت ابني على ألفي درهم فدخلت على أبي أيوب فأخبرته بذلك فأمر لي بألفي درهم فشكرته وقمت فقال: اجلس فقال: ألا تريد خادماً هذه ألفان لخادم، ألا تريد نفقة هذه ألفان، ألا تريد كذا فقمت من عنده بخمسين ألفاً [3].

= ثلاثين سنة وقتله ديلمي في رمضان ٤٨٥ هـ وعاش النظام سبعاً وسبعين سنة. ابن الجوزي: المنتظم ٩: ٦٤، ٦٨ والذهبي: دول الإسلام ٢: ١٣ وابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٩٥.

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٩: ٧٣.

(٢) هو سليمان بن مخلد المورياني الخوزي وكنيته أبو أيوب من وزراء الدولة العباسية في العراق، ولي وزارة المنصور وأحسن القيام بالأعمال ثم فسدت عليه نية المنصور فأوقع به وعذبه وأخذ أمواله ومات أبو أيوب في ١٥٤ هـ. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ١٤٣، ١٤٤. والجيشهاري: الوزراء والكتاب ٩٧، ٩٩، ١٢٠ وابن طباطبا الفخري في الآداب السلطانية ١٧٥ وابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ٢: ٢٢.

(٣) ابن طباطبا: الفخري ١٧٦.

ومنهم يحيى بن خالد البرمكي[1]:

كان كثيراً ما يقول: إذا أقبلت الدنيا فأنفق منها: فإنها لا تفنى وإذا أدبرت فانفق منها فإنها لا تبقى[2].

وقال له رجل: إنك لأحلم من الأحنف فقال: ما تقرب إلي من أعطاني فوق حقي[3].

وقال: أقبح عمل الظافرين الانتقام وأقبح عمل الواعدين البخل وأقبح عمل القادرين الظلم وأقبح عمل المؤمنين الخيانة وأقبح عمل الأشراف الكبر وأقبح عمل السلطان الجور.

وصاح يحيى يوماً يا غلام: فلم يجبه أحد. فقال: يدل على كرم الرجل سوء أدب غلمانه[4].

ومنهم جعفر بن يحيى البرمكي:

قيل لما حج الرشيد ومعه جعفر بن يحيى قال لبعض من يثق به

---

(١) يحيى بن خالد بن برمك، وكنيته أبو الفضل، ولد في عام ١٢٠ هـ، وكان مؤدباً للرشيد ومعلمه فلما ولي هارون الرشيد الخليفة جعله وزيره واشتهر بحسن السياسة وجودة اليد. وقد سجنه الرشيد وتوفي ١٩٠ هـ وقيل: ١٩٢ هـ.

(٢) الجيشهاري: الوزراء والكتاب ١٧٧ وابن خلكان: وفيات الأعيان ٥: ٢٧٣ والذهبي: دول الإسلام ١: ١٢١ وابن تغري: النجوم الزاهرة ٢: ١٤٠ والأعلام للزركلي ٩: ١٧٥.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥: ٢٧٠.

(٤) ابن خلكان: نفس المصدر ص ٢٧١.

أحب أن تنظر إلي جارية ولا تبقى غاية في كمالها وظرفها. فأرشدت إلى جارية بالمدينة، فدخلت المنزل، فرأيت عليها أثر النعمة. فقلت لصاحبها بكم؟ قال: بأربعين ألف دينار قلت: أشترط عليه نظرة، قال: ذلك له، فأتيت جعفر فأخبرته فجاء معي فرآها وحمل المال: فقالت الجارية لمولاها: في أي شيء أنت؟ فقال: قد عرفت ما كنا عليه من النعمة وقد رأيت أن تصيري إلى هذا الملك، فتبسطي في شهواتك فقالت: والله يا مولاي لو ملكت منك مثل ما ملكت مني ما بعتك بالدنيا وما فيها، وبعد فاذكر العهد، وكان قد حلف أن لا يأكل لها ثمناً فتغرغرت عيني المولى. وقال: اشهدوا أنها حرة لوجه الله تعالى، وإني قد تزوجتها، وأمهرتها داري: فقال جعفر: امض بنا فدعوت الحمالين ليحملوا المال. فقال: جعفر: لا والله ما يصحبنا منها درهم، ثم أقبل على مولاها وقال هو لك طيب بارك الله لك فيه. أنفقه عليها وعليك وسلم له المال ومضى[1].ولما بلغ سفيان بن عنينة قتل جعفر، قال: اللهم إنه قد كفاني مؤنة الدنيا، فاكفه مؤنة الآخرة[2].

ومنهم علي بن عيسى الجراح[3].

كان كثير المعروف والقراء وصيام الدهر ويحب العلماء ويكثر

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٢٩٥.

(٢) ابن خلكان: نفس المصدر ٣٠٤.

(٣) علي بن عيسى بن داوود بن الجراح وكنيته أبو الحسن وزير المقتدر العباسي والقاهر وأحد العلماء والرؤساء من أهل بغداد فارسي الأصل، له من الكتب ديوان الرسائل ومعاني القرآن و«جامع الدعاء» و«الكتاب وسياسة المملكة =

مجالستهم وقال: كسبت سبعمائة ألف دينار، صرفت منهـا في وجه البر ستمائة ألف وثمانين [1].

ومن وزراء الدولة الديلمية [2]:

الصاحب بن عباد [3]

وكان موصوفاً بالعلم والفصاحـة وكان ينفـذ إلى بغداد كـل سنة

= وسيرة الخلفاء» توفي عام ٣٣٤ هـ عن تسعين عـاماً. الخـطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢: ١٤ وابن الجوزي: المنتـظم ٦: ٣٥١ وفيه وفـاته سنـة ٣٣٥ هـ. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ٢٦٧ وفيـه أنه نهض بأمور الـوزارة وضبط الدواوين والأعمـال وقرر القـواعد وأفـرد ديوانـاً سماه «ديوان البر جعل حاصله لاصلاح الثغور وللحرمين الشريفين.

(١) ابن الجوزي: نفس المصدر ٣٥١.

(٢) الدولة الديلمية: هم سـلاطين بني بويـه، سيطرت على الخلفـاء العباسيين فعـزلت الخلفاء وولتهم واستـوزرت الوزارات وصـرفتهم، وجـدهم بـويـه ووالدهم أبو شجاع سكنوا بلاد الديلم وهي من بلاد فارس. ابن طبـاطبا: الفخري ٢٧٧ ـ ٢٧٩.

(٣) هو إسماعيل بن عباد بن عباس: أبو القاسم الطالقاني: ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته: استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة ولقب بالصاحب لصحبته ابن العميد ومؤيد الدولة بن بويه منـذ الصبا وسماه الأخير الصاحب. وكان من أهل الأدب والعلم وجودة الرأي له تصانيف منها: «الوزراء» و«الامامة» يذكـر فيه فضـائل علي بن أبي طـالب رضي الله عنه، ويثبت إمامة من تقدمـه، وتوفي بـالري ٣٨٥ هـ ونقـل إلى أصبهان فدفن فيها. ابن الجوزي: المنتظم ٧: ١٧٩ ـ ١٨١ وابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٢٠٦ ـ ٢١٠ والذهبي: دول الإسلام ١: ٢٣٤ ويـاقوت الحموي: معجم الأدباء ٢: ٢٧٣ ـ ٣٤٣ والزركلي: الأعلام ١: ٣١٣.

خمسة ألاف دينار، تفرق على طلبة العلم، وكان من أبغض الناس إليه من يقول بالفلسفة والمنطق، ولما احتضر أمر أن يكتب على قبره:

أيها المغرور في الدنيا بعز تقتنيه
وبأهل وبمال وبقصر مبتنيه
كم سحبناكم عليها ذيل سلطان وتيه
تحسب الأفلاك تجري بخلود ترتجيه
قد طوانا الدهر طياً
فاعتبر ما نحن فيه

ومنهم، ذو السعادات محمد بن جعفر [1]:

كتب إليه بعض الناس أن فلاناً توفي، وخلف خمسين ألف دينار وعقاراً بخمسين ألف دينار، وخلف طفلاً: فإن رأى الوزير: أن يستعرض هذا المال إلى وقت بلوغ الصبي، ويحفظ عليه ضياعة فعل، فكتب على ظهر السعاية «أما المتوفي رحمة الله، والطفل جبرة الله، والمال ثمرة الله. والساعي لعنة الله لا حاجة لنا إلى مال الأيتام»[2].

---

(١) هو محمد بن جعفر بن أبي الفرج بن فسانجس، ويكنى أبا الفرج، ويلقب ذو السعادات وزر لأبي كاليجار بفارس، ووزر له ببغداد وكانت له مروءة فائضة، وقتل في رمضان سنة ٤٤٠ هـ. ابن الجوزي: المنتظم ٨: ١٣٨، ١٣٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٨: ١٣٩.

ومنهم: فخر الملك[1]:

فإنه وقع في قصة رجل سعى برجل، السعاية قبيحة، ولو كانت صحيحة فلئن كنت أخرجتها بالنصح. فخسرانك فيها أكثر من الربح، وإنا لا ندخل في محظور ولا نسمع قول مهتوك في مستور، ولولا انك في خفارة شيبتك لقابلناك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك وتروع أمثالك، فاستر على نفسك هذا العيب، واتق من يعلم الغيب، فإن الله تعالى للصالح والطالح بالمرصاد[2].

وممن وزر للسلجوقية:

نظام الملك أبو علي الطوسي:

وكان مجلسه عامراً بالعلماء سمع الحديث، وأملاه، وكان كثير العطاء حتى أنه أوصل بعض الصلحاء ثمانين ألف دينار وكان يدخل عليه أبو المعالي[3] الجويني وأبو القاسم القشيري[4] فيقوم لهما،

---

(١) هو محمد بن علي بن خلف، أبو غالب، الملقب بفخر الملك: وزير بهاء الدولة البويهي يقال له «ابن الصيرفي» لأن أباه كان صيرفياً بديوان واسط، ولد بها سنة ٣٥٤ هـ، ولما توفي بهاء الدولة أقره ابنه سلطان الدولة على الوزارة فأقام زمناً مرعي الجانب وافر الحرمة، ثم بدرت منه هفوة لم يغتفرها له سلطان الدولة فقتله سنة ٤٠٧ هـ. ابن الجوزي: المنتظم ٧: ٢٨٦ وابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٢٠٩ والذهبي: دول الإسلام ١: ٢٤٣.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٢١٠ في النص «أجريتها» بدلاً من «أخرجتها».

(٣) في الأصل: أبو علي، وأبو المعالي الجويني، هو عبد الملك بن يوسف =

ويجلس في مسنده كما هو، فإذا دخل عليه أبو علي الفارمذي[1]: قام وأجلسه في مكانه، وجلس بين يديه، فتغير من أجل ذلك الجويني وقال لحاجبه في ذلك فقال له الحاجب: إن الجويني قد امتعض من هذا الفعل. وقال: أدخل أنا والقشيري وكلانا من العلماء فلا يفعل بنا ما يفعل بالفارمذي . فقال الوزير: إذا دخل على الجويني والقشيري قالا لي: أنت وأنت ومن مثلك فيقولا لي خلاف

= الفقيه الشافعي المعروف بإمام الحرمين وجوين قرية من قرى نيسابور ولد سنة ٤١٧ هـ وتفقه على والده فأقعد مكانه وله دون العشرين من العمر، فأقام الدرس وسمع بالبلاد، وحج وجاور، ثم عاد إلى نيسابور ودرس بها ثلاثين وصنف في الكلام كتب كثيرة منها: الارشاد. وله في السياسة: غياث الأمم، وتوفي الجويني في ٢٥ ربيع أول سنة ٤٧٨ هـ. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢ : ٣٤١، ٣٤٣ والذهبي: دول الإسلام ٢ : ٨ وابن تغري: النجوم الزاهرة ٥: ١٢١ . وللدكتورة فوقية حسين ترجمة مطولة عنه، أعلام العرب العدد رقم ٤٠ .

(٤) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، شيخ خراسان زهداً وعلماً، مات بنيسابور عام ٤٦٥ هـ وله تسعون سنة إلا شهراً ومن مصنفاته: «لطائف الاشارات» و«الرسالة القشيرية»، ابن الجوزي: المنتظم ٨: ٢٨ وابن خلكان: وفيات الأعيان ٢ : ٣٧٥، ٣٧٨ والذهبي: دول الإسلام ١ : ٢٨٤ والزركلي: الأعلام ٤: ١٨٠ .

(١) هو الفضل بن محمد وكنيته أبو علي الفارمذي بفتح الفاء والراء والميم معجمة نسبة إلى فارمذ قرية بطوس، ولد سنة ٤٠٧ هـ، شيخ صوفي انفرد بطريقته في التذكير وأخذ في الاجتهاد البالغ إلى أن نال، وحصل له عند نظام الملك قبول خارج عن الحد وتوفي سنة ٤٧٧ هـ. اليافعي: مرآة الجنان ٣: ١٢٢ والذهبي: دول الإسلام ٢ : ٨ وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣: ٣٥٥ .

ما أعرف من نفسي فيزدني كلامهما تيهاً، وأزيد فيما أنا فيه، وإذا دخل الفارمذي: ذكرني عيوبي وبصرني بها فأنكسر عند ذلك وأرجع عن كثير مما أنا فيه(١).

وعن نظام الملك يقول: كنت أتمنى أن يكون قرية ومسجد أتعبد فيه، ثم تمنيت أن يكون لي قطعة من الأرض أتقوت بريعها وأتعبد، والآن أتمنى أن يكون لي رغيف كل يوم ومسجد أتعبد فيه(٢).

في الأدعية

روى أنس بن مالك: قال جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله علمني كلمات أدعو بهن قال: (تسبحين الله عشراً وتحمدينه عشراً، وتكبرينه عشراً، ثم تسألين حاجتك، فإنه يقول: قد فعلت، قد فعلت)(٣).

الدعاء عند الكرب:

روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٩: ٦٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٩: ٦٦.

(٣) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك بلفظ: أن أم سليم غدت على النبي ﷺ فقالت: علمني كلمات أقولهن في صلاتي، فقال (كبري الله عشراً، وسبحي الله عشراً، وأحمديه عشراً ثم سلي ما شئت يقول: نعم، نعم) وقال الترمذي: حسن غريب. سنن الترمذي ٢: ٣٤٨ ويقول الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم المستدرك على الصحيحين في الحديث ١: ٣١٧، ٣١٨.

إلا الله، العظيم الحليم، لا إله إلا الله، رب العرش العظيم، لا إله إلا الله، رب السمــوات ورب الأرضين ورب العـرش الكــريم)[1] أخرجاه في الصحيحين.

وعنه قال قال رسول الله ﷺ: (ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، مـاض في حكمك، عدل في قضائك، أسـألك بكـل اسم هو لـك، سميت به نفسـك، وأنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقـك أو استأثـرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القـرآن العظيم ربيـع قلبي، ونور صـدري، وجلاء حزني، وذهـاب غمي وهمي، إلا أذهب الله عز وجـل، همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً) فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها، فقال: (بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها)[2].

أدعية مأثورة:

منقولة في الصحاح عن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق رضي الله عنـه أنه قـال لرسـول الله ﷺ: علمني دعـاء أدعـو بـه في صـلاتي فقال: (قـل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيـرة. ولا يغفر

---

(١) صحيح البخاري ٨: ٩٣ وسنن ابن ماجة ٢: ١٢٧ ومحمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان ص ٧٤١ وابن الربيع الشيباني: تيسير الوصول ٢: ٧٤.

(٢) عن ابن مسعود أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبزار، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي مسلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان. الهيثمي: مجمع الزوائد ١٠: ١٨٦، ١٨٧.

الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنـك أنت الغفور الرحيم)(١)

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات (اللهم، إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وفتنـة القبر، وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيـح الدجـال، اللهم، اغسل خـطاياي بمـاء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثـوب الأبيض من الدنس، وبـاعد بيني وبين خـطاياي، كمـا باعـدت بين المشرق والمغـرب. اللهم، إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمآثم والمغرم(٢).

قال الأوزاعي: حدثنا حسان بن عطية قال كان شداد بن أوس في سفر فنزل منزلاً فقال لغلامه آتينا بالسفرة فجيء بها فـأنكرت عليـه، فقال ما تكلمت منذ أسلمت إلا وأنا أحفظها وأزمها غير كلمتي هذه، فلا تحفظوها علي واحفظوا عني ما أقول لكم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا أكثر النـاس الذهب والفضـة، فاكثـروا هؤلاء الكلمات: اللهم، إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وأسـألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولسـاناً

---

(١) صحيح البخاري ٨: ٨٩ ومختصر صحيح مسلم المنذري ١: ٨٧، والمسند لأحمد بن حنبل بتحقيق أحمد شاكر ١: ١٥٨، كما أخرجه ابن ماجة: سنن ابن ماجة ٢: ١٢٨١ والسيوطي الجامع الصغير ٢٢٨.

(٢) صحيح البخاري ٨: ٩٨ وسنن ابن مـاجة ٢: ١٢٦٢، كمـا أخرجـه مسلم والترمذي والنسائي عن عائشة أيضاً. السيوطي: الجامع الصغير ٥٣.

صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، إنك علام الغيوب) [1].

ذكر رد بصر صاحبه دعاء:

عن نافع أن ابن عمر أضاف رجلًا أعمى، فأكرمه ابن عمر، وأنامه في منزله الذي كان ينام فيه، فلما كان في جوف الليل، قام ابن عمر فتوضأ، وأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين، ودعا بدعاء فهمه الأعمى، فلما رجع ابن عمر إلى فراشه، قام الأعمى إلى فضل وضوء ابن عمر، فتوضأ، وأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين، ثم دعا بذلك الدعاء، فرد الله بصره، وشهد الصبح مع ابن عمر بصيراً، فلما فرغ، التفت إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن دعاء سمعتك البارحة تدعو به، فهمته، فقمت فصنعت مثل الذي صنعت، فرد الله علي بصري. قال ذلك دعاء علمنيه رسول الله ﷺ، وأمرنا أن نعلم أحداً يدعو به في أمر الدنيا (اللهم: رب الأرواح الفانية والأجساد البالية، أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها، وبطاعة الأجساد الملتئمة بعد وفاتها. وبكلماتك النافذة فيهم، وأخذك بالحق منهم، والخلائق بين يديك، ينظرون فضل قضائك، ويرجون رحمتك،

(١) قال السيوطي: أخرجه الترمذي والنسائي: الجامع الصغير ٥٣ وسنن الترمذي (تحقيق الدعاس) ٩: ١١١ برم ٣٤٠٤ وفي اسناده ضعف لجهالة الرجل من بني حنظلة، ولكن يشهد له حديث شداد بن أوس عند النسائي ٣، ٥٤ في السهو، باب نوع آخر من الدعاء، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند ٤: ١٤٥ كما رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن حبان في صحيحه رقم ٢٤١٦ موارد الظمآن، وانظر جامع الأصول ٤: ٢١٠، ٢٥٩ الحديثان ٢١٨٣، ٢٢٤٥.

ويخافون عقابك، أن تجعل النور في بصري واليقين في قلبي وذكرك بالليل والنهار على لساني، وعملاً صالحاً فارزقني)[1].

صلاة الاستخارة:

عن جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: (إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير فريضة ثم ليقل: اللهم، إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم، إن كنت تعلم إن هذا الأمر (تسميه بإسمه) خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري عاجلة وآجلة. فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلمه شراً لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفني عنه، واصرفه عنّي، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضّني به)[2] أخرجه البخاري في صحيحه.

---

(١) لم أقف عليه بلفظه. وشاهده ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عثمان بن حنيف قال: سمعت رسول الله ﷺ وقد جاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال: يا رسول الله لي قائد وقد شق علي: فقال رسول الله ﷺ (إئت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلى لي عن بصري. اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي) قال عثمان فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرقط. الحاكم النيسابوري المستدرك على الصحيحين ١: ٥٢٦، ٥٢٧.

(٢) صحيح البخاري ٨: ١٠١ وسنن الترمذي ٢: ٣٤٥ وعيون المعبود شرح سنن أبي داود ٤: ٣٩٦، ٣٩٧.

ذكر دعاء يدعو به من قام يتهجد بالليل:

عن ابن عباس. قال كان رسول الله ﷺ إذا قام يتهجد من الليل قال: (اللهم لك الحمد، قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت بديع السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وأخرت، وما أسررت وما أسرفت، وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر. لا إله إلا أنت)(١).

فضل نصف الليل:

عن عمرو بن عنبسة، أنه سمع النبي ﷺ يقول: (أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن)(٢).

---

(١) أخرجه الستة، موطأ مالك ١: ٢١٥، ٢١٦ وصحيح البخاري ٢: ٦٠ ـ ٦١ وصحيح مسلم حديث رقم ١٩٩ كما أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي، تيسر الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ٢: ٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم عن عمرو بن عنبسة. السيوطي: الجامع الصغير ٤٧ وقال المنذري، رواه الترمذي واللفظ له: والحديث حسن صحيح غريب. كما أخرجه خزيمة في صحيحه، الترغيب والترهيب ١: ٢١٩.

فضل قيام الليل والمجاهدين في سبيل الله:

عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: (عجب ربنا من رجلين، رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته. فيقول ربنا عز وجل: يا ملائكتي، انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته، رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي.

ورجل غزا في سبيل الله عز وجل وانهزم وأصحابه، وعلم ما عليه من العار، وما له في الرجوع من الأجر، فخرج حتى أهريق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي، رجع رغبة فيما عندي، ورهبة مما عندي، حتى أهريق دمه[1]).

ما يقول إذا صنع له معروف:

عن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ قال: (من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً. فقد أبلغ في الثناء)[2] رواه الترمذي.

عن عبد الله بن أبي ربيعة الصحابي رضي الله عنه قال: استقرض النبي ﷺ مني أربعين ألف، فجاءه مال فدفعه إلي وقال: (بارك الله في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والوفاء)[3].

---

(١) قال المنذري: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وابن حيان في صحيحه. الترغيب والترهيب.

(٢) سنن الترمذي (تحقيق الدعاس) ٦ : ٢٣٤ برقم ٢٠٣٦ وقال السيوطي، أخرجه الترمذي والنسائي وابن حيان عن أسامة بن زيد والحديث صحيح: الجامع الصغير ص ٣٠٩. وابن الربيع الشيباني: تيسير الوصول ١ : ٢١٣.

(٣) سنن ابن ماجة ٢ : ٨٠٩.

ما جاء في استحباب الدعاء للمهدي مكافأة له:

عن عائشة قالت: أهديت لرسول الله ﷺ شاة قال: أقسميها. وكانت عائشة إذا رجع الخادم تقول: ما قالوا؟ يقول الخادم قالوا: بارك الله فيكم، فتقول عائشة (وفيهم بارك الله، نرد عليهم مثل ما قالوا، ويبقى أجره لنا) رواه ابن السني[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا أتي بباكورة من الثمار، وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال: (اللهم أريتنا أوله، فأرنا آخره،ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان)[٢]رواه ابن السني أيضاً.

ما يقول إذا رأى شيئاً فأعجبه:

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (من رأى شيئاً وأعجبه. فقال: ما

---

(١) ابن السني: هو أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الدينوري. ويكنى بأبي بكر السني صاحب النسائي وروى عنه، واختصر السنن في كتاب سماه (المحنبي). وعاش بضعاً وثمانين سنة، وتوفي وهو يكتب حديث الرسول سنة ٣٦٤هـ اليافعي: مرآة الجنان ٢: ٣٨، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣: ٤٨ ونص الحديث في كتاب ابن السني عمل اليوم والليلة ١١٢ عن عبيد ابن أبي الجعن الغطفاني وقد وثقه ابن حبان، ابن حجر العسقلاني تهذيب التهذيب ٧: ٦٢.

(٢) ابن السقي: عمل اليوم والليلة ١١٣ وفيه يونس بن يزيد بن أبي النجاد عن الزهري قال فيه الإمام أحمد بن حنبل يأتي بمنكرات ووثقة ابن حبان، تهذيب التهذيب ١١: ٤٥١.

شاء الله، لم يضره)[1] رواه ابن السني.

عن سعيدبن حكيم قال: كان النبي ﷺ إذا خاف أن يصيب شيئاً يعيبه في نفسه وماله قال (اللهم بارك فيه ولا تضره)[2] رواه ابن السني أيضاً.

ما يقال إذا نظر في المرآة:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر وجهه في المرآة قال: (الحمد لله الذي سوى خلقة فعدله، وكرم صورة وجهي فحسنها، وجعلني من المسلمين)[3].

ما يقال لمن يقدم من الحج:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ

---

(١) ابن السني: عمل اليوم والليلة ٨٦ بلفظ (من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، لم تصبه العين) وفيه ثمامة بن عبدالله وثقة الإمام أحمد والنسائي وابن حبان، وروى عن أبي يعلى ان ابن معين أشار إلى تضعيفه، تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩.

(٢) ابن السني: عمل اليوم والليلة ٨٧ كان النبي ﷺ إذا خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال: (اللهم بارك فيه ولا تضره) فيه حزام بن حكيم روى له النسائي ووثقه ابن حبان. تهذيب التهذيب ٢ : ٢٤٢.

(٣) ابن السني: عمل اليوم والليلة ٧١ وفيه الحارث بن مسلم، جزم الدارقطني بأنه مجهول، وصحيح البخاري وأبو حاتم وأبو زرعة والترمذي أن مسلم بن الحارث هو صحابي، وأن الحارث ولده وأخرج ابن حبان في صحيحه من مسند الحارث بن مسلم تهذيب التهذيب ١٠ : ١٢٥.

فقال: يا رسول الله: إني أريد الحج فتمشى مع النبي ﷺ فقال: (يا غلام، زودك الله التقوى، ووجهك في الخير وكفاك الهم) فلما رجع الغلام سلم على النبيَ ﷺ فقال: (يـا غلام قبـل الله حجك، وغفـر ذنبك، أخلف نفقتك)[1] رواه ابن السني.

وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال: كان رسـول الله ﷺ إذا رجع من سفرة فدخل على أهله قال: (ثوباً. ثوباً لربنا أوباً، لا يغادر علينا حوباً)[2] رواه ابن السني.

نقول: ثوباً منصوب إمـا على تقديـر سلك ثوبـاً أو ترتب علينـا ثوباً. أوبـاً: من آب إذا رجع ومعنى لا يغادر أي لا يترك، وحوباً: معناه إثماً، وهو بفتح الحاء وضمها والله أعلم.

---

(١) ابن السني: عمل اليوم والليلة ١٨٩.

(٢) ابن السني: نفس المصدر: ١٩٩.

فهرس المراجع

١ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي .

٢ ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

٣ ــ تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي .

٤ ــ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب .

٥ ــ لفتة الكبد في نصيحة الولد لابن الجوزي .

٦ ــ صيد الخاطر لابن الجوزي .

٧ ــ المنتظم لابن الجوزي .

٨ ــ شذرات الذهب لابن العماد .

٩ ــ مرآة الزمان سبط ابن الجوزي .

١٠ ــ البداية والنهاية لابن كثير .

١١ ــ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي .

١٢ ــ سنن الترمذي .

١٣ ــ صحيح ابن حبان .

١٤ ــ مستدرك الحاكم .

١٥ ــ تمييز الطيب من الخبيث، ابن البديع الشيباني .

١٦ ــ معجم المطبوعات العربية يوسف سركيس .

١٧ ــ هدية العارفين لابن الجوزي .
١٨ ــ كشف الظنون لحاجي خليفة .
١٩ ــ الوجوه النواضر في الوجوه النظائر لابن الجوزي .
٢٠ ــ المدهش لابن الجوزي .
٢١ ــ المعجم الوسيط .
٢٢ ــ لسان العرب .
٢٣ ــ ابن السني عمل اليوم والليلة .
٢٤ ــ الطبراني الأكبر .
٢٥ ــ مجمع الزوائد للهيثمي .
٢٦ ــ موطأ مالك .
٢٧ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري .
٢٨ ــ صحيح مسلم ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
٢٩ ــ سنن البيهقي .
٣٠ ــ مسند أبي عوانة .
٣١ ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل .
٣٢ ــ سنن النسائي .
٣٣ ــ سنن أبي داود .
٣٤ ــ صفوة الصفوة لابن الجوزي .
٣٥ ــ حلية الأولياء لأبي نعيم .
٣٦ ــ الكواكب الدرية للمناوي .
٣٧ ــ دول الإسلام للذهب .
٣٨ ــ الاعلام للزركلي .
٣٩ ــ المشيخة لابن الجوزي .

٤٠ ـ رياض الصالحين للنووي .
٤١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .
٤٢ ـ تاريخ ابن الوردي .
٤٣ ـ ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء .
٤٤ ـ المعارف لابن قتيبة .
٤٥ ـ رسالة عن الحسن البصري لابن الجوزي .
٤٦ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي .
٤٧ ـ مروج الذهب للمسعودي .
٤٨ ـ ترجمة الحسن البصري المطولة ـ للدكتور إحسان عباس .
٤٩ ـ الاستيعاب لابن عبد البر .
٥٠ ـ جامع الأصول من حديث الرسول .
٥١ ـ دائرة المعارف الإسلامية .
٥٢ ـ كشف الخفاء للعجلوني .
٥٣ ـ الجامع الصغير للسيوطي .
٥٤ ـ الطبقات الكبرى للشعراني .
٥٥ ـ تاريخ خليفة بن خياط .
٥٦ ـ روضة العقلاء .
٥٧ ـ الطب النبوي للذهبي .
٥٨ ـ الطب النبوي لابن القيم .
٥٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
٦٠ ـ لسان الميزان لابن حجر .
٦١ ـ اللقط في الطب لابن الجوزي .
٦٢ ـ فيض القدير للمناوي .

٦٣ ـ طبقات الشافعية الكبرى.
٦٤ ـ طبقات القراء لابن الأثير الجزري.
٦٥ ـ العبر في تاريخ بن غبر للذهبي.
٦٦ ـ تسهيل المنافع لابن الأزرق.
٦٧ ـ ما ينبغي تقديمه من
٦٨ ـ بغية الوعاة للصفدي.
٦٩ ـ فهرست ابن خير.
٧٠ ـ شرح المفصل لابن يعيش.
٧١ ـ أنباه الرواة للقفطي.
٧٢ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة.
٧٣ ـ سيبويه في النحو.
٧٤ ـ تاريخ الأدب العربي - بروكلمان.
٧٥ ـ تفسير ابن كثير.
٧٦ ـ التاريخ الكبير للبخاري.
٧٧ ـ الحميدي الجامع بين الصحيحين.
٧٨ ـ مصباح الزجاجة شرح سنن ابن ماجة.
٧٩ ـ الترغيب والترهيب للمنذري.
٨٠ ـ المصباح المضيء لابن الجوزي.
٨١ ـ تيسير الوصول للشيباني.
٨٢ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي.
٨٣ ـ الدين والدولة لابن الطبري.
٨٤ ـ خاص الخاص للثعالبي.
٨٥ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة.

٨٦ ـ المعـارف لابن قتيبة .
٨٧ ـ تاريخ ابن خلدون .
٨٨ ـ هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري للطهطاوي .
٨٩ ـ كشف الخفاء للعجلوني .
٩٠ ـ المنسك لابن جماعة .
٩١ ـ الديلمي مسند الشهاب .
٩٢ ـ سنن الدارمي
٩٣ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري .
٩٤ ـ محاضرة الأبرار لابن عربي .
٩٥ ـ الكامل لابن الأثير .
٩٦ ـ العقد الفريد للملك السعيد ـ لابن طلحة .
٩٧ ـ الأمثال والحكم للماوردي .
٩٨ ـ التمثيل والمحاضرة للثعالبي .
٩٩ ـ النووي على مسلم .
١٠٠ ـ مختصر صحيح مسلم للمنذري .
١٠١ ـ أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية .
١٠٢ ـ الفخري في الآداب السلطانية ـ لابن طباطبا .
١٠٣ ـ المستطرف في كل فن مستظرف .
١٠٤ ـ البيان والتبيين للجاحظ .
١٠٥ ـ السعادة والاسعاد في السيرة الإنسانية للعامري .
١٠٦ ـ دول الإسلام للذهبي .
١٠٧ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .
١٠٨ ـ دائرة معارف القرآن محمد فريد وجدي .

١٠٩ ـ التاج في أخلاق الملوك للجاحظ.
١١٠ ـ مروج الذهب للمسعودي.
١١١ ـ إغاثة الملهوف لابن الجوزي.
١١٢ ـ الزهد لأحمد بن حنبل.

الفهــرس

○○○